المكتبة العالمية
للفتيان والفتيات

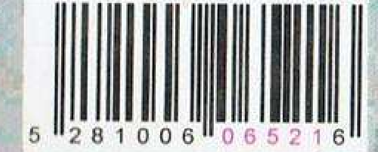
سجين زندا

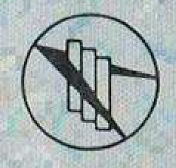
دار العلم للملايين

المكتبة العالمية للفتيان والفتيات
سجين زندا
دار العلم للملايين

هذه الرواية

- وهذه حلقة جديدة تُضاف إلى سلسلة «المكتبة العالمية للفتيان والفتيات».
- لقد قدّمنا إلى ناشئتنا العزيزة، في هذه السلسلة، حتى الآن مجموعة من روائع الأدب العالمي، من مثل كوخ العم توم، وقصة مدينتين، وأوليفر تويست، وأحدب نوتردام، وتمرّد في السفينة باونتي.
- وها نحن نقدّم إليهم اليوم «سجين زندا» للكاتب الإنكليزي أنطوني هوب.
- وحَسْبنا في تعريف «سجين زندا» أن نقول إنها رائعة أدبية خالدة ترجمت إلى معظم لغات العالم.





المكتبة العالمية
للفتيان والفتيات





سجين زندا

تأليف : أنطوني هوب

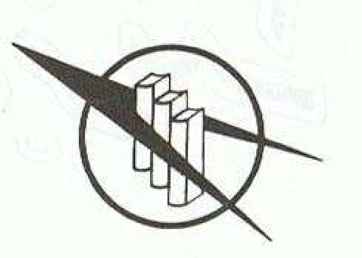
تعريب وتلخيص : المحامي كمال أبو ظهر

طبعة جديدة مَزيدة ومُنقّحة
ومُرفقة بمجموعة من الأسئلة المنهجية والمفيدة

دار العلم للملايين

دار العلم للملايين
مؤسسة ثقافية للتأليف والترجمة والنشر

شارع مار الياس - خلف ثكنة الحلو
ص.ب: ١٠٨٥ - تلفون: ٣٠٤٤٥٥ - ٨٦٣٤٧٤
برقياً: ملايين - تلكس: ٢٣١٦٦ ملايين
بيروت - لبنان



الطبعة الأولى

أيلول/سبتمبر ١٩٩٤

١ ـ عائلة رزيدانتيل

ـ «لكمْ أتساءلُ متى ستقومُ بعملٍ ما يا رودلف» قالت زوجةُ أخي صباحَ أحدِ الأيام.

فأجبتها: «ولماذا أقومُ بأي عملٍ يا عزيزتي روز؟ فَلِيَ مركزٌ مرموقٌ ولديَّ مالٌ يكفيني أو إلى حدٍّ ما يفي بحاجاتي. وإلى هذا كلّه فأنا شقيقُ روبرت، اللورد برلسدون. ألا يكفي هذا؟»

ـ «لكنك في التاسعةِ والعشرين من العمر، وحتى الآن لم تفعلْ شيئاً سوى..»

ـ «سوى السفر؟ هذا صحيحٌ فعائلتُنا ليستْ بحاجةٍ للعمل».

لعل ملاحظتي هذه أزعجتْ روز، فالجميع يعلمُ أنها بالإضافةِ إلى جمالها تنتمي إلى عائلةٍ تكادُ تكونُ بمستوى عائلة رزيدانتيل. وعلى أية حالٍ، إذا كانت حياتي عقيمةً في نظرِ روز، إلا أنني جنيتُ منها مباهج كثيرةً ومعرفةً واسعةً. فلقد تلقّيتُ علومي في مدرسةٍ ألمانية ثم في جامعةٍ ألمانيةٍ أيضاً فأصبحتُ أُتْقِنُ الإنكليزية، بالإضافةِ إلى أنني أُحسنُ التحدُّثَ بالفرنسية. وكنت على ما أظنُ مبارزاً جيداً ورامياً شجاعاً، وفارساً مقداماً لا يصعبُ عليّ امتطاءُ صهوةِ أيِّ جوادٍ كان.

ـ «ولكن السير جاكوب بوروديل يعرضُ عليكَ الآنَ ما يناسبُك

تماماً!» تابعت روز حديثها، «فَسَيُعَيَّنُ سفيراً خلالَ ستةِ أشهُرٍ ويريدُك أن تكونَ مرافقاً له. أرجو أن تقبلَ يا رودلف من أجلي».

أمام إصرار روز فكّرت أن أُمضيَ بعض الوقتِ الممتع في حالِ قَبولي هذا المنصب، فقلتُ لها: «إذا لم يطرأ خلالَ ستةِ أشهُرٍ ما يحولُ دون ذلكَ يا عزيزتي فسأذهب مع السير بوروديل».

ـ«كم أنا سعيدةٌ يا رودلف».

لقد أعطيتُ وعداً ولكن ستةَ أشهُرٍ فترةٌ طويلةٌ فلماذا لا أقومُ بشيءٍ ممتعٍ خلالَ هذهِ المدة؟! وفجأةً خَطَرَ لي أن أزور رورتيانيا، فلقد قرأتُ في الصحفِ أن مراسِمَ واحتفالاتٍ ضخمةً ستقامُ في سترالسو بعدَ ثلاثة أسابيع احتفاءً بتتويج رودلف الخامسِ ملكاً.

ولأسبابٍ عديدةٍ لم يتسَنَّ لي زيارة هذه المملكة، التي لعبتْ برغم صغرها دوراً هامّاً في تاريخِ أوروبا. وللحالِ بدأتُ التحضيرَ للسفرِ إليها.

وبما أنني لم أعتدْ على أن أخبرَ أقاربي عن وجهة سفري فلقدْ اكتفيتُ بالقول إنني سأقوم برحلةٍ إلى جبالِ الألب. ولقد امتعضتْ روز بعض الشيء، ولكن عندما أبلغتُها أنني قد أؤلفُ كتاباً عن المشاكل السياسيةِ والاجتماعيةِ في تلكَ المنطقة كادت تطيرُ فرحاً.

والواقع أنني لم أفكّرْ لحظةً في تدوينِ أحداثِ رحلتي في ذلك الصيف. لكنني ها أنذا اليوم أكتبُ ما لا علاقةَ له بجبال الألب بتاتاً.

☆☆☆

في الطريقِ إلى باريس جاء أحدُ الأصدقاء لرؤيتي في محطةِ السكة الحديدية. وبينما كنا نتكلم تركني ليتحدثَ مع سيدةٍ سمراءَ طويلة بدتْ لي في غايةِ الجمالِ والأناقة.

وعندما عادَ الصديقُ إليّ قال: «سترافقُكَ في رحلتك هذه سيدةٌ فاتنةٌ. إنها أنطوانيت دوموبان، ويقال إن دوق سترالسو، شقيقُ الأميرِ رودلف، يَخُصُّها بعنايَتِه. إنها أرملةٌ غنيةٌ، وطموحة. من يدري ما ترمي إليه هذه السيدة؟!»

ويبدو أن تلك السيدةَ لم تهتم لرؤيتي بعد ذلك لأنني لم أرَها طوالَ الرحلة رغمَ تواجدها في القطار نفسه.

حالَ وصولي إلى حدود رورتيانيا ـ حيثُ ذُهِلَ الموظف حين رآني وكأنه رأى شبحاً ـ اشتريت صحيفةً علمتُ بواسطتها أن مراسيمَ التتويجِ ستتمُّ في اليوم التالي لأسبابٍ غيرِ معروفة. ولقد علمتُ أن سترالسو كانت مُكْتَظَّةً بالناس فجميعُ الغُرفِ أُجِّرَت فيها والفنادقُ كانت ملأى. فكان من الصعب أن أجدَ مكاناً أبيتُ فيه. لذلك قررتُ التوقفَ في زندا، وهي بلدة صغيرةٌ تبعدُ حوالى الخمسين ميلاً عن العاصمة وعشرة أميالٍ عن الحدود.

كان القطار الذي سآخذُه يصلُ مساءً إلى زندا، لذا قررت أنْ أقضيَ اليوم التالي، الثلاثاء، في التنزُّهِ بينَ التلالِ محاولاً إلقاءَ النظرِ على القلعةِ المشهورةِ هناك، ثم أذهبُ إلى سترالسو يوم الأربعاءِ بالقطارِ وأعود لأبيت في زندا.

ولقد كان واضحاً من بقاء مدام دوموبان في القطارِ أنها ستذهبُ

مباشرةً إلى سترالسو.

كانت تديرُ النُّزُلَ الذي حللتُ فيه سيدةٌ سمينةٌ بمساعدةِ ابنتيها. ولقد كانتْ هذهِ السيدةُ معجبةً بالدوق الذي أصبحَ بعد موتِ الملكِ السابق مالكاً لأراضي زندا وللقصر الذي فيها، ذاكَ القصر الذي لم يبعُدْ أكثرَ من ميلٍ عن النزل. وكم كانت آسفةً لعدم حصولِه على العرش بدلاً من أخيه.

ـ «نحن نعرفُ، كما كلّ مواطنٍ في رورتيانيا، الدوق ميشال فقد عاش بيننا، أما الملك فغريبٌ بالنسبة إلينا، فهو قادمٌ حديثاً من الخارج وقلّةٌ جدًّا هم الذين يعرفون شَكْلَهُ» قالت صاحبة الفندق.

فردّت ابنتها الكبرى: «يقالُ إنه الآن حلقَ ذقنَهُ فلا يكاد يعرفه أحدٌ».

ـ «من قال هذا؟» سألت الأم.

ـ «جوان، حارس الغابة، فلقد رأى الملك». ردّت الفتاة.

ـ «آه، الملكُ يا سيدي موجودٌ هنا في هذهِ الغابة في أحدِ أكواخِ الدوق المخصصةِ للصيد، وسيذهبُ إلى سترالسو ليُتَوَّجَ هناكَ صباحَ الأربعاء».

سُررتُ لسماع هذا وعزمتُ على أن أمشي في الغد باتجاهِ الكوخِ المذكور لعلّي ألتَقي صدفةً بالملك.

ـ «لكم أتمنى أن يتفرّغَ الملكُ للصيد تاركاً العرشَ للدوق» قالت السيدة.

فقالت الفتاة الصغرى: «أمّا أنا فإنني أكرهُ ميشال الأسود وأفضل الملكَ إذ يُقال إن شعرهُ أحمرُ مثلُ شعرِ..» وضحكت وهي تتطلعُ إلى شعري الأحمر.

فقاطعتها أمها قائلةً: «لقد دعا الدوقُ الملكَ للصيد هنا في أرضهِ حتى يومِ الأربعاءِ بينما ذهبَ هو إلى سترالسو للتحضيرِ لاستقبالِهِ هناك».

قلت: «إذاً هما متفقان؟»

ردّت الصغرى: «طبعاً، فهما يتنافسان على نفس المركز ونفس المرأة. أما المركز فهو العرش، والمرأة هي ابنةُ عمِّه الأميرةُ فلاڤيا التي يضحي الدوق بحياته من أجلها، بينما ستصبحُ هي الملكة».

ـ «بدأتُ الآن آسَفُ لحال ميشال، ولكن على الأخ الأصغر أن يرضى دائماً بما قُسِمَ له» قلت هذا وأنا أضحكُ في نفسي عندما تذكّرتُ مدام دوموبان ورحلتها إلى سترالسو.

عندَ ذلك دخلَ علينا رجلٌ ضخمٌ، وما إن وقَعَ نظرُهُ عليّ حتى علتْ وجهَهُ الدهشة، كمن شاهَدَ مخلوقاً غريباً، تماماً كما حصل لموظف الحدود.

ـ «ما بك يا جوان؟ إن هذا السيدَ قادمٌ لحضورِ حفلة التتويج» قالت البنت الكبرى.

هذه الكلماتُ هدّأتْ من روعِ الرجلِ بعضَ الشيء لكنه بقيَ يتطلّعُ إليّ بنظراتٍ غريبة.

فقالت الصغرى: «انظرْ يا جوان إلى شعرهِ، إنه اللونُ الذي تحبُّ». ثم وَجَّهَتْ الحديث لي: «لقد دُهِشَ يا سيدي من لونِ شعرك، فاحمرارُ الشعرِ نادرٌ هنا في زندا».

ــ «آسف يا سيدي» قال جوان.

عند هذا هممت بالانصراف محاولاً تفادي نظرات جوان وتمنّيت لهم ليلةً هادئة.

٢ ـ مساء جميل وعلاقة جديدة

شرعتُ في اليوم التالي في الصعودِ إلى الهضبةِ المؤديةِ إلى قصرِ زندا، ومن هناك إلى الغابة. كان القصرُ قلعةً في الأيامِ الغابرةِ، وما زال القسمُ القديمُ منها في حالةٍ جيدةٍ. كانت القلعةُ محاطةً بخندقٍ مائيٍّ عميق وواسع، بينما ارتفعَ في الجانبِ الآخرِ بناءٌ ضخمٌ شَيَّدَهُ الملكُ السابق. هذا البناء أصبح الآن المنزلَ الريفيّ لدوق سترالسو.

عندما اقتربتُ من القصر، وجدت أن الأجزاءَ القديمةَ والجديدةَ متصلةٌ ببعضِها بواسطةِ جسرٍ متحركٍ كان الطريقَ الوحيدَ للدخولِ إلى القلعةِ القديمة. ولكم كانَ هذا الجسرُ مريحاً للدوق، فلَو رَغِبَ في تحاشي رؤيةِ أَحَدِهِم اجتازَ الجِسْرَ وأغلَقَهُ من ورائهِ فيصبحُ من العسير حتى على مجموعةٍ مسلّحةٍ من الجنود الوصولُ إليه.

أكملت طريقي حتى دخلتُ الغابة فجلستُ تحتَ شجرةٍ من أشجارها الضخمة مستمتعاً بالسكون من حولي، وغططت في سباتٍ

عميقٍ ناسياً أنني نائمٌ في الممتلكاتِ الخاصةِ للدوق.

أيقظني صوتٌ خشنٌ وعالٍ يقول: «يا للعجب! احلقْ له ذقنَهُ فيصبح الملكَ عينَهُ!»

فتحتُ عينيّ فوجدت رجلين يحدّقان بي باستغراب. كانا يرتديان ثياب صيد ويحملان بنادق. أحدهُما كانَ مُتقدماً في السنِّ قصيراً قويَّ البُنيةِ بشاربينِ رماديَّين وعينينِ لامعتين. أما الآخر فكان شابًا نحيفاً متوسطَ الطولِ أسودَ الشعر.

تقدّم مني الأولُ يتبعُهُ الثاني وألقيا عليّ التحية. وعندما وقفتُ لهما، همس الأول للثاني: «إنَّهُ بنفسِ الطول». ثم قال لي: «من أنت؟»

فقلتُ: «من أنتما؟»

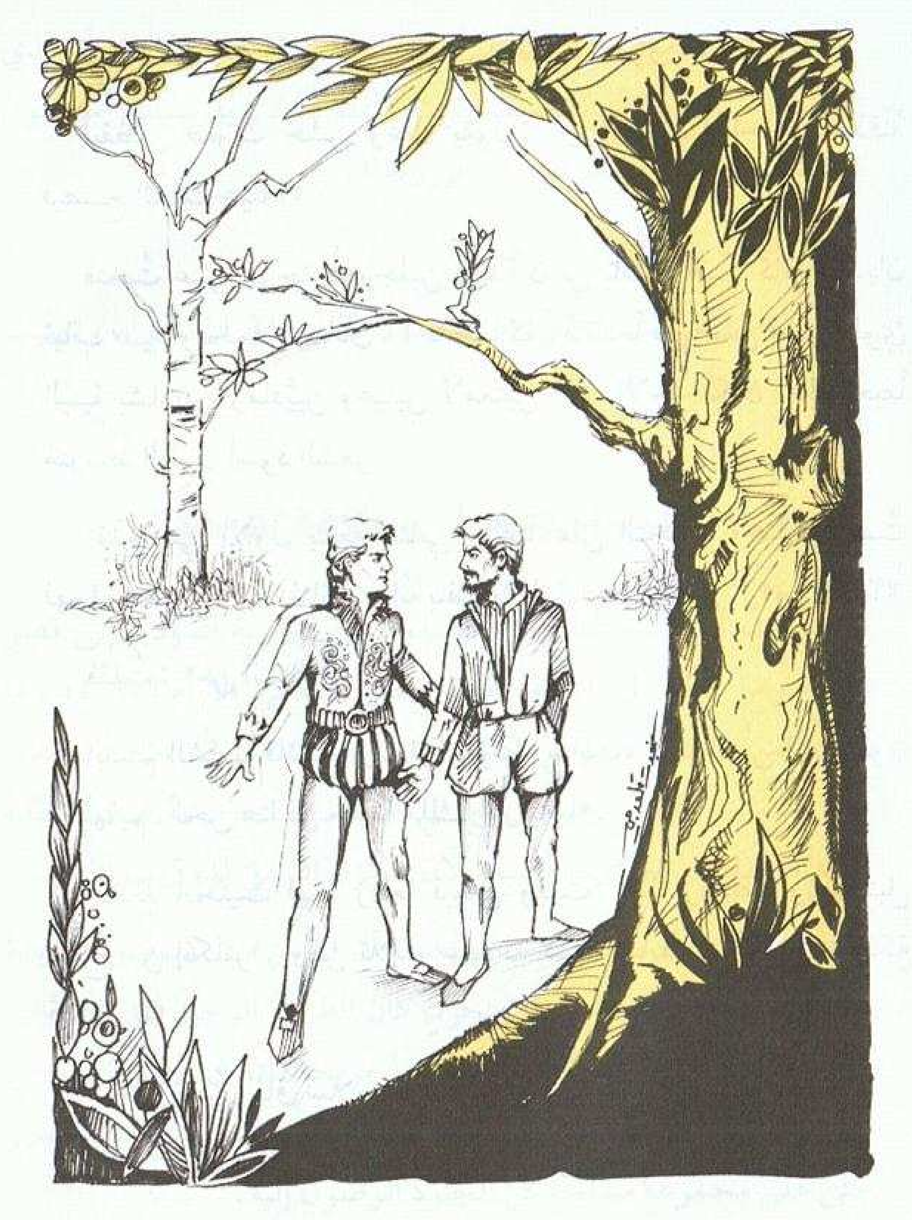
ابتسمَ الشابُّ قائلاً: «إنه الكولونيل سابت، وأنا أُدعى فريتز ڤون ترلنهايم. نحن هنا في خدمة ملك روريتانيا».

عندئذٍ انحنيتُ لهما رافعاً قبعتي وقلت: «أنا رودلف رزيدانتيل سائحٌ من إنكلترا، ومن ثلاث سنواتٍ كنتُ ضابطاً في جيشِ الملكةِ ڤيكتوريا».

ــ «إذاً نحنُ رفاقُ سلاحٍ». قال ترلنهايم ومدّ يده مُسَلِّماً عليّ.

فقال سابت: «حسناً، لعلّك لا تدري أنك تشبهُ ملكنا تماماً!»

شعرتُ بضيقٍ لسماعي ذلك، وتذكرت نظراتِ موظفِ الحدودِ وجوان إليّ. لو كنتُ أدري ذلك لفكّرتُ طويلاً قبلَ أن أزورَ



«إذاً نحن رفاق سلاح»، قال ترلنهايم، ومدّ يده مسلِّماً عليّ

روروتيانيا، ولكن ما الفائدة الآن؟

في تلك اللحظة سمعنا صوتاً ينادي: «أينْ أنت يا فريتز؟»

ــ «إنهُ الملك» قال ترلنهايم.

ما إن رأيتُ الملكَ حتى صرختُ لدهشتي، بينما تراجعَ هو لشدّة تعجُبِه. لولا لحيتي والهيبةُ التي أضفَتْها الملكيةُ عليهِ لكان الملك رودلف رزيدانتيل وأنا رودلف الملك!

ــ «مَن هذا الرجلُ يا كولونيل فريتز؟» سأل الملك.

ــ «يبدو أن لكَ بديلاً يا سيدي!» أجابَ فريتز بصوتٍ مخنوق.

بعد أن زالت دهشتُهُ نظر إلى الملكُ وانفجَرَ ضاحكاً. ثم تقدّم مني وأخذ بيدي قائلاً: «حسناً، أخبرني من تكون وماذا تفعل هنا؟»

أخبرتُ الملك بكلِّ شيء فبدا متردّداً عندما قلت إنني ذاهبٌ إلى سترالسو غداً. لكنه عادَ وضحكَ قائلاً: «فريتز، أودُّ لو أرى وجهَ أخي ميشال عندما يرانا نحنُ الاثنينِ معاً!»

ــ «ولكن يا سيدي، أرى أنه ليس من الحكمةِ أن يذهب السيد رزيدانتيل إلى سترالسو» قال فريتز.

فردّ سابت موافقاً: «حتماً! هذا صحيح!»

لكنني قاطعتهم قائلاً: «إذاً سأغادر روروتيانيا الليلة».

فردّ الملك: «بالطبع لا. ستتعشى معنا الليلة وليكن ما يكون بعدها، فالمرءُ لا يلتقي بأخٍ جديد كلَّ يوم».

وافقَ سابت وفريتز، وبدأنا نمشي في الغابة. كان الملك رجلاً مرحاً لم يتوقفْ طوالَ الطريقِ عن التدخينِ والكلام حتى وصلنا إلى كوخٍ صغير للصيد. ركضَ أحدُ الخدم لاستقبالِنا ورأيتُ هنالك عجوزاً سمينةً علمتُ فيما بعد أنها والدةُ جوان، حارس الغابة.

ـ «هل العشاءُ جاهز يا جوزيف؟» سألَ الملكُ.

ـ «أجل يا مولاي».

ما إن جلسنا للعشاءِ حتى شرعَ الملك يشربُ النبيذَ بشراهةٍ. ولقد ذهبتْ جميع محاولاتِ فريتز لجعلِ الملك يتوقفُ عن الشربِ سدىً. فلقد شربَ الملكُ وشربنا حتى الثمالةِ جميعاً غيرَ آبهينَ بالغد وما يحملُهُ لنا.

وأخيراً قالَ الملك إنه شربَ بما فيه الكفاية، فإذا بجوزيف يضعُ أمامَهُ زجاجةً قديمةً ويقولُ: «إنها من سيدي دوق سترالسو، لقد أمرني أن أُقدِّمَها لكَ بعد أن تفرغَ من أنواع النبيذ التي أمامَكَ».

ـ «حسناً، فلتكُنْ هذه الزجاجةُ الأخيرة!» قال الملك، ثم شربَ كأساً وقال: «إنهُ نبيذٌ رائعٌ، سأشربُ نخب أخي ميشال الأسود».

وهكذا حملَ الزجاجةَ كُلَّها ووضعَها على فمِهِ شارباً إياها حتى القطرةِ الأخيرة، ثم رماها أرضاً، وكان هذا آخرَ ما سمعتُ فلقد استسلمنا كلنا للنومِ العميق.

صحيتُ مذعوراً ومبلّلاً لأرى أمامي سابت يحملُ بيدِهِ دلواً ويقفُ أمامَهُ فريتز شاحب الوجه كالشبح.

فقلت والغضب يجتاحني: «ما هذا المزاح؟»

ردّ سابت: «لقد كانت هذه الطريقةُ الوحيدةُ لإيقاظك. إنها الساعةُ الخامسةُ. انظرْ هنا»:

كان الملكُ مستلقياً على الأرضِ يتنفسُ بصعوبةٍ ووجهُهُ أحمرُ بلونِ شعرِهِ المبتلّ أيضاً.

ـ «لقد حاولنا إيقاظَهُ لمدة نصفِ ساعةٍ ولكن دونَ جدوى، إنه لا يتحركُ» قال فريتز.

دسستُ نبضَ الملك ولدهشتي كان بطيئاً جدًا.

فقال سابت: «لقد خُدِّرَ بواسطةِ زجاجةِ النبيذِ الأخيرة، ولا فائدة من جلبِ أيِّ طبيبٍ فلا قوةَ بإمكانها أن توقِظَهُ اليوم للذهابِ إلى سترالسو من أجلِ حفلةِ التتويج».

ـ «لنعلنْ أنهُ مريضٌ» قال فريتز.

فردّ سابت: «إذا لم يُتوَّج اليومَ ملكاً فلن يُتوج أبداً».

سألتُهُ عن السببِ فقال: «الشعبُ كله اليومَ بانتظارِهِ فكيف نرسِلُ نقولُ بأنهُ ثملٌ، وفي حال قلنا بأنه مريض فالجميعُ يعرفُ أن مرضَهُ بسببِ الثمالةِ؟» ثم نظرَ إليّ وقال: «أمتأكّدٌ أنت بأن الملك قد خُدِّرَ عن عمد؟»

قلت: «أجل»

قال: «أمّا الفاعلُ فهو بالطبعِ ميشال الأَسْوَد ليمنعَ أخاه من أن يُتوَّجَ

اليوم، وأنتمْ تعرفونَ أن نصفَ الجيش يأتمرُ بإمرةِ ميشال، وأن نصف سكان سترالسو يتمنّون أن يعتلي ميشال عرشَ بلادهم. فإن لم يُتوّجْ رودلف الخامس اليومَ ملكاً فسيحلُّ أخوه محلّه».

سادَ الصمتُ بيننا حتى التفتَ إليَّ سابتٌ قائلاً: «كلّما تقدّمَ المرءُ بالسنِّ كلما زاد إيمانُهُ بالقدرِ. والقدرُ هو الذي أرسلك لنا اليومَ إلى سترالسو».

فصرخْت: «يا إلَهي! مستحيل! سيُكشَفُ أمري»!

ـ «إنها مخاطرةٌ كبيرةٌ ولكن لا سبيلَ آخر أمامَنا. ولن يعرفَكَ أحدٌ لو حلقتَ ذقنك. فلا تخف». قال سابت.

حاولت أن أعترضَ فتابعَ سابت كلامه: «لو اكتُشِفَ أمرُك فلن تكون نهايتَك وحدَكَ بل نهايتي ونهاية فريتز معك. أُقسِمُ لك أنك إن لم تذهبْ الليلة إلى سترالسو فإن ميشال سيعتلي العرشَ وإن الملك سيُرمى إما في السجن أو في القبرِ».

ـ «لكن الملكَ لن يَغفِرَ لي هذا العمل»!

ـ «ومن يهتمّ لغفرانِه؟» أجابني سابت.

مرّت اللحظات بعد ذلك بطيئةً ثقيلةً ثم أمسكَ سابت بيدي وسألني: «أستذهب؟»

فنظرت إلى وجهِ الملكِ الشاحبِ وقلت: «سأذهب».

٣ ـ الملك يذهب إلى سترالسو

خطّطَ سابت لكلِّ شيء. أما أنا فكنت وكأنني في حُلُم. حلق لي جوزيف ذقني وحملوا الملكَ ووضعوهُ في قبوٍ للخِمر. أما العجوز السمينةُ، والدةُ جوان، فقد شككنا في أمرِها ولذلك كبّلَها سابت وكمّمها ثم أقفل عليها إحدى غرفِ القبو.

ـ «لكن ماذا سنفعلُ بالحرسِ الذين سيرسلهم ميشال لحراسةِ الملك؟ هؤلاء سيكشفون أمرنا». صرخَ فريتز.

فردّ سابت بعزم: «سنأخُذُ القطارَ في هوفبو بدلاً من زندا وعندما يأتونَ نكونُ قد رحلنا».

وهكذا ارتديتُ لباسَ الملكِ الرسمي الأبيض كما ارتدى كلٌّ من سابت وفريتز لباسهما. وتركنا جوزيف بعد أن أعطيناه تعليماتٍ صارمةً بحراسةِ قبوِ الخمرِ لحين عودتنا. امتطى كلٌّ منا جواده ومشينا في الغابة.

أطلعني سابت طوالَ الطريقِ، بقدرِ ما استطاعَ، عن حياةِ الملكِ السابقةِ، وعن عائلته. ماذا أَحبَّ، وماذا أبْغَضَ. أخبرني عن أصدقائه ومرافقيهِ وعن خدمِهِ أيضاً، كما أخبرني ببعض قوانينِ رورتيانيا ووعدني ألّا يفارقني طوال النهار.

عند وصولنا إلى المحطةِ، أخبرَ فريتز المديرَ هناك أن الملكَ قد غيَّرَ طريقةَ ذهابه إلى سترالسو، فَقُدِّمَتْ لنا عربةٌ من الدرجةِ الأولى بينما استمر سابت في إطْلاعي على معلوماتٍ عن الملك. وكانت

الساعة آنذاك الثامنة صباحاً.

وفي التاسعة والنصف بدأت معالمُ المدينةِ الكبيرةِ بأبراجِها وبيوتِها تظهَرُ أمامنا.

ضحك فريتز وقال: «إنها عاصمتُكَ يا مولاي. أرجو ألّا تكون خائفاً».

ــ «أنا لست صخراً».

فقاطعنا سابت وقال: «وصلنا قبل موعدِنا بساعةٍ كاملة، سأبعَثُ أُخْبِرَهُم بمجيئنا».

ساعةَ نزولي من القطارِ عَمَّتِ الفوضى وأصبحَ الناس يركضون، كُلٌّ يُسْرِعُ في اتجاهٍ معيَّنٍ. وما إن شربتُ آخرَ جرعةٍ من فنجانِ الشاي حتى ترامى إلى سمعنا صوت أجراسِ المدينةِ تقرَعُ وصوت زمرةٍ يهتفون.

ــ «سترالسو ترحّبُ بمليكها رودلف الخامس».

ــ «عاش الملك، عاش الملك».

خرجت من المطعم وبجانبي فريتز بينما مشى سابت ورائي. كان بانتظارنا جماعةٌ من الضباطِ وأناسٌ رفيعو المقام على رأسهم رجلٌ طويلٌ يرتدي زيًّا رسميًّا.

فهمس لي سابت: «المارشال ستراكنز». ففهمتُ أنهُ قائدُ جيشِ رورتانيا.

ــ «أمّا الذي يقفُ وراءَه فهو رئيس الوزراء» قال سابت.

حيّاني المارشال واعتذر عن عدم حضورِ الدوق لاستقبالي في المحطة لإصابتهِ بوعكةٍ صحيةٍ وقال إنه سيلاقيني في الكاتدرائية.

تقدّم مني بعد ذلك عدة أشخاصٍ لم يبدُ على أحدِهِم أيُّ شكٍّ فشعرت ببعض الارتياح والثقة.

غادرْنا المحطة فامتطيتُ جوادي ومشى المارشال على يميني وسابت على يساري بينما لَحِقَتْنا مجموعةٌ من الضباط في عرباتهم.

كانت مدينةُ سترالسو تنقسمُ إلى قسمينِ: قسم حديث وآخر قديم. في الأول عاشت الطبقةُ الغنيةُ، أما الثاني فكانت فيه المخازن وبعضُ أحياءِ الطبقةِ المُعْدَمَة.

كانت البلدةُ الحديثةُ تناصرُ الملكَ بينما فضَّلَتِ القديمةُ الدوقَ على أخيه ولم تحاولْ إخفاءَ هذا.

ونحنُ نمرُّ في الشارع الرئيسي المؤدي إلى القصرِ الملكي تملَّكني شعورٌ بأنني الملك الحقيقي، غير أن هذا الإحساس سرعانَ ما زالَ عندما رفعتُ عينيّ إلى أحدِ النوافذِ ورأيتُ أنطوانيت دوموبان، السيدة التي سافرت معي من باريس.

رأيتُها لا ترفعُ عينيْها عني فخُيِّلَ إليّ أنها ستصرخُ: «إنهُ ليس الملك!»

في طريقنا رأيتُ المارشال يعطي أوامِرَهُ لبعضِ الحرس بالإحاطةِ بي لأننا كنا قد دخلنا المناطقَ الفقيرةَ التي عُرِفَ أهلُها بإخلاصِهِمْ للدوق ميشال.

أكّد لي هذا التصرفُ صحةَ ما أخبرني إياه سابت عن وضعِ البلدِ وانقسام شعبِهِ.

فسألت المارشال: «ولِمَ هذه الأوامر؟»

ـ «للمحافظة على سلامَتِكَ يا سيدي».

فأوقفتُ جوادي وقلت: «دعْ هؤلاءِ الذين في المقدمةِ يمشونَ ميلاً إلى الأمام، وأنت أيها المارشال والكولونيل سابت وأصدقائي لا تمشوا حتى أكونَ قد قطعتُ خمسينَ ميلاً. أريدُ أن أُظهرَ للشعب أن ملِكَهُمْ له ملءُ الثقة بهم. هل هذا مفهوم؟»

كتَمَ المارشال اضطرابَهُ وأعطى الأوامر بذلك. أما سابت فتبسَّم لي وهو يَهُزُّ رأسَهُ. فلو قُتِلْتُ يوماً في أحد شوارع سترالسو فسيكون موقفُ سابت دقيقاً للغاية.

تمتَّعتُ بالطوافِ في الشوارع وحيداً لأنني تمكّنتُ من سماع تعليقاتِ الجماهير. سمعتُ أشياءَ كثيرةً تُقالُ ولكن أكثرية الناسِ بقيتْ صامتةً مستغربة بينما عُلِّقتْ صورُ أخي الدوق في كلِّ مكان.

وصلنا إلى الكاتدرائيةِ وساعتئذٍ فقط شعرتُ بخطورةِ ما أقومُ به. مشيتُ في بهوِ البناءِ القديم دونِ أن ألحظَ الناس المكتظّينَ لاستقبالي، إذ لم ترَ عيناي سوى فتاة شاحبةٍ بشعرِ أحمرَ رائع ورجلٍ أسود الشعرِ والعينين عميقِ النظرةِ. عرفت حالاً أنه ميشال الأسود. تطلّعَ إليَّ وكأنه رأى شبحاً.

لا أذكرُ شيئاً من تفاصيلِ الاحتفالِ سوى أنني أخذتُ التاج من

الكاردينال ووضعتُهُ على رأسي. ثم صَرَخَ أحدهم: «سموُّ الأميرة فلاڤيا». تقدَّمتِ الأميرةُ مني راكعةً وَقَبَّلَتْ يدي وقبلَ أن أقوم بما يجب فعلُهُ تقدَّمَ مني ميشال وكان مرتجفاً كورقةٍ في مهبِّ الريح، إلا أنهُ لم يظهرْ عليه ولا على أحدهم أيُّ شكٍّ بأنني لستُ الملكَ عينَهُ.

بعد انتهاء المراسيم ركبتُ عربة جلست فيها الأميرةُ بجانبي ومشينا في شوارع سترالسو.

كان الآن موقفي حرجاً جدًا، فلقد نسيتُ أن أسأل سابت عن مشاعرِ الملك تجاه الأميرة وعن مدى العلاقةِ بينهما. لذا، فضلتُ أن ألوذ بالصمت، إلى أن التفتت إليّ قائلة:

ـ «أتدري يا رودلف، إنك تبدو غريباً اليوم؟»

شعرتُ بضيقٍ لكنها أضافت: «تبدو أكثر جدّيّةً، ونحيلاً بعض الشيء. لعلّكَ قرَّرتَ أن تأخذ الحياة بجدّيّةٍ من الآن فصاعداً؟»

كانَ يجبُ أن أقولَ شيئاً، فقلت: «هل هذا يسعدُكِ؟»

ـ «أنت تعرفُ رأيي جيداً».

ـ «سأحاول أن أفعل كلَّ ما يسعدُكِ!»

وعندما ابتسمَتْ وعلتْ وجهَها حُمْرَةُ الخجل عرفتُ أنني أتقنتُ تمثيل دور الملك.

ـ «هل لاحظتَ ميشال؟» سألتني فلاڤيا.

ـ «أجل، لم يكنْ مرتاحاً أبداً».

ــ «أرجوك كنْ حذراً وراقبه دائماً فأنت تعلم . . »

ــ «إنهُ يريد شيئاً حصلتُ عليه» .

فقالت : «ويريدُ شيئاً لم تحصلْ عليه قط ، لكنني آملُ أن يكونَ لك» .

سمعنا بعد ذلك جرساً يُقرَعُ ليُعلنَ وصولَنا إلى القصر . دخلنا غرفة الطعام فجلست الأميرة على يميني وميشال على يساري ثم جلسَ كل الأعيانِ الموجودين هناك . أما سابت فبقي واقفاً ورائي .

فتساءلت في نفسي : «تُرى ماذا يفعلُ الملكُ الآن؟»

٤ ــ سر القبو

اجتمعنا في غرفةِ ملابس الملك ، فريتز ڤون ترلنهايم ، سابت وأنا . ارتميتُ على كرسيٍّ ولم يَكن سابت قد هنّأني على نجاحي اليوم لكن الارتياح بدا على وجهه ، بينما عاد تصرُّف فريتز طبيعيًّا بعدَ زوالِ كل مخاوفِهِ .

ــ «أرأيت منظرَ ميشال الأسود وأنتَ تتحدثُ إلى الأميرة؟» قال سابت .

فقلت : «كم هي رائعة!»

ــ «والآن ، هل أنتمْ جاهزون؟» صاحَ سابت .

كانت الساعةُ الخامسةَ ، وعندَ الثانيةَ عشرةَ ليلاً سأعودُ لأكونَ رودلف رزيدانتيل ، المسافر الإنكليزي .

ــ «علمنا أن أخباراً سيئة قد بلغتْ ميشال الأسود من زندا وأزعجتهُ جدًّا» .

فقلت : «إنني جاهزٌ فهذهِ الأخبارُ تجعلني أتوقُ للذهاب» .

فقال سابت : «والآن يا فريتز ، يجبُ القولُ إن الملكَ قد آوى إلى فراشِهِ فهو متعبٌ ولن يرى أحداً قبلَ صباحِ الغد . أفهمت؟ لا أحد بتاتاً ، حتى لو كان ميشال الأسود . فلو دخلَ أحدٌ هذهِ الغرفة ونحنُ غيرُ موجودين فيها فستلقى حتفَك في الحال» .

تنكَّرت بملابس خادمِ سابت ولففت وجهي وتوجهتُ معه عبرَ بابٍ سرِّيّ إلى حديقةِ القصرِ حيث انتظَرنا رجلٌ معهُ جوادان . بقينا صامتين لهول الموقف إلى أن اجتزنا أسوارَ المدينة ، لكن الخوف رافقنا . وعندما قطعنا نصف المسافةِ توقف سابت وقال : «اسمعْ!»

سمعنا وقعَ جيادٍ من بعيدٍ فقالَ لي سابت : «لنسرعْ بقدرِ المستطاع» .

عندما توقَّفنا مرةً ثانية استلقى سابت على الأرضِ واضعاً أُذنَهُ عليها وقال : «إنهم اثنان . يجب أن ندخلَ الآن الغابة» .

أطعتُ سابت مرغماً ، فلم يكنْ لدينا وقتٌ للاعتراض ، وفي الغابةِ الكثيفة الأشجارِ اختبأنا منتظرين .

ــ «أريدُ أن أعرفَ من هما وإلى أينَ هما ذاهبان» . قال سابت .

استطعنا خلالَ دقائقَ رؤيتهما بوضوحٍ ، ساعدَنا على ذلك ضوءُ القمرِ الساطعِ تلكَ الليلة .

فقلت: «إنه الدوق». كان يرافقه رجلٌ ضخمٌ قويٌّ علمتُ فيما بعد أنهُ ماكس هولف شقيقُ جوان حارس الغابة. توقَّف الرجلان عند مفترقِ الطريق.

ـ «إلى أين؟» سألَ الدوق.

ـ «إلى القصرِ يا سيدي».

ـ «ولِمَ لا نذهبُ إلى الكوخ؟» سأل الدوق.

فردَّ ماكس: «ما دامت الرسالةُ تقولُ إن كلَّ شيء على ما يرام، فلماذا نذهبُ إلى الكوخ؟ وإلا فإن الرسالةَ فخٌ للإيقاعِ بنا!»

ـ «حسناً». قال الدوق، واتجهَ الرجلان إلى القصر.

انتظرنا بضع دقائقَ ثم قال سابت: «أرسَلوا يخبرونَهُ أن كلَ شيءٍ على ما يرام».

ـ «ماذا يعنونَ بهذا؟»

ـ «لا أدري ولكن الدوق جاء من سترالسو على جناح السرعة».

عاوَدْنا سيْرَنا ونحنُ نتساءَلُ عن سرِّ الرسالةِ حتى وصلنا إلى الكوخ.

كانَ كلُّ شيءٍ هادئاً هناك، ولم يظهرْ أحدٌ لملاقاتنا فأمسك سابت بيدي وقال:

ـ «انظُرْ هنا».

رأيت بقايا أقمشةٍ ممزقةٍ عرفتُ أنها من القماش الذي استعملناه

عندما كمّمنا والدة جوان وكبّلناها.

وعلى الفورِ ركضنا إلى القبو فإذا ببابِهِ مفتوحٌ على مصراعيه.

ـ «لقد وجدوا العجوز!» قلت لسابت.

ـ «هذا واضحٌ من بقايا القماشِ المبعثرةِ، ولكنْ ماذا عن جوزيف؟ ماذا عن الملك؟»

لم يكنْ بمقدور سابت دخولَ الغرفةِ ليس لخوفه على نفسه بل لخوفِهِ مما قدْ يجدُ. وهكذا دخلتُ أنا فوجدتُ جُثَّةَ رجلٍ ملقىً على ظهرِهِ ومذبوحاً. لقد كانت هذه جُثةَ جوزيف المخلص.

تبعني سابت وعندما رأى ما رأيت بدأ يصرخ بدون وعي: «يا إلَهي! أين الملك؟»

لكنَّ الملكَ لم يكنْ هناك.

ـ «وقعَ الملكُ بأيديهِمْ». قال سابت.

فقلت متحمساً: «هذا ما عَنوهُ بقولهم، إنَّ كلَّ شيءٍ على ما يرام. يجب الآن أن نُسرعَ بالعودةِ ونجمعَ كل فرساني في سترالسو للإمساك بميشال. هيا بنا فقد يُقتلُ الملك ونحنُ واقفون هنا».

قالَ سابت غير آبهٍ بكلامي: «تلكَ العجوزُ اللعينةُ لا بدَّ أنها قد لفتتْ نظرَهُمْ بطريقة ما عندما جاؤوا لاحتجازِ الملكِ سجيناً على اعتبارِ أنهُ مُخدَّرٌ بزجاجةِ النبيذِ. ولو لمْ تذهبْ أنتَ بدلاً منه إلى سترالسو لكنتُ وفريتز من عدادِ الأمواتِ الآن».

ـ «ولكنَّ الملك. .؟»

ـ «من يدري أين هو الآن؟»

ـ «هيا بنا، أرجوكَ يا سابت».

فابتسم سابت وقال: «أجل، هيا بنا، سيكونُ الملكُ في عاصمتِهِ غداً».

ـ «الملك؟» قلت مستغرباً.

ـ «الملكُ المتوّج. فلو علمَ أحدٌ بلعبتنا البارحة لخسرنا حتماً حياتنا. أتظنّ أن أحداً يرضَى أن يعتلي مَلِكُهُ العرشَ بعد أن يدري أنهُ كان سكراناً وأنه أرسل من يُمَثِّلُ دورَهُ في حفلةِ التتويج؟! هذا ما سيقولُهُ ميشال للشعبِ وهذا ما سَيُقْنِعُهُمْ به. فالأفضلُ أن نعودَ وتحلَّ أنت محلَّ الملك الحقيقي إلى حينِ تخليصِهِ».

ـ «لكنّ الدوق ومعاونيهِ يعرفونَ الآن حقيقة أمري».

ـ «أعلمُ هذا، لكنَّهُمْ مضطرون لكتمانِ الأمر. فلو قالوا إنكَ مزيفٌ كيف يثبتون صحة كَلامِهِمْ؟ أيقولونَ إن الملكَ الحقيقي سجينٌ لديهِمْ بعد أن قتلوا خادمَهُ؟»

تخيَّلتُ الموقفَ بوضوح، فلن يستطيعَ ميشال فضحَ أمري إلا بظهورِ الملك، لكن عودةَ الملكِ الحقيقي للعرش تَهدِمُ كلَّ أحلامِ ميشال.

ـ «لكن أمري سيُكشَفُ يوماً ما» قلتُ لسابت.

ـ «طبعاً، لكننا سنستفيدُ من الوقت. فقبلَ كلِّ شيءٍ سيكونُ هنالك ملكٌ على عرشِ سترالسو وإلا استولى ميشال على العرش خلالَ ساعاتٍ وقتل الملك. هذا إذا كان الملك لا يزالُ حيًّا حتى الآن. لكنَّهُمْ لن يقتلوهُ إذا عُدْنا إلى سترالسو فماذا يجنونَ من قتلِهِ وأنتَ تعتلي العرش؟»

هذه الخطةُ برغم خطرها جذبتني وإنْ كنتُ متردداً، فقلتُ لسابت: «هيا بنا سأحاولُ جهدي».

ما إنْ هممنا بالخروج حتى سمعت صوتاً ورأينا مجموعةً من ثمانية رجال قادمين لإزالةِ معالِمِ الجريمة.

فقلت لسابت: «يجب أن ننتقم لجوزيف».

ـ «لكن هذا يشكِّلُ خطراً عليك».

ـ «دعْكَ مني وامْتَطِ جوادك وجهِّزْ سيفَكَ للانقضاض عليهم».

أسرعنا بجوادينا نحوهم وانقضضنا عليهم، وبعدَ معركةٍ عنيفة وسريعة استطعنا قتلَ ثلاثةٍ منهم، ثم أسرعنا هاربين. . وبينما نحن كذلك رَفَعْتُ يَدِي منادياً سابت فَلامَسَتْها رصاصةٌ وأحسستُ بالدمِ يسيلُ منها. لم أكترث لذلك فلقد انتقمنا لسابت ولو جزئيًّا وبدأنا نسبّب للدوق بعضَ المشاكل.

٥ ـ ابنة عم شقراء، وأخ أسمر

وصلنا القصرَ بأمانٍ وكانتْ الساعةُ قد جاوزت الثامنةَ صباحاً. كنت قد لففت وجهي جيداً كي لا يعرفني أحد، حتى دخلنا غرفةَ الملابسِ الخاصةِ بالملك من الباب السِّرِّيّ. ما إن رآنا فريتز حتى صاح ظانّاً أنني مولاه:

ـ «حمداً لله على سلامة جلالتك».

لكنّه، حين تبسّمَ سابت، عرف أنني لستُ الملكَ الحقيقي فسألَنا بلهفة: «أين الملك؟»

قال سابت: «اخفضْ صوتك، لقد احتجزه ميشال الأسود، وأظنُّ أنه لا يزال حيّاً».

تناولت طعام الإفطار بعد أن تظاهرتُ بأنني مستيقظٌ لِتَوّي من النوم، ثم أطلعني سابت على المهمّاتِ التي يجبُ أن أحفظَها. بعد ذلك قامَ رئيسُ الوزراء بزيارتي يحمل أوراقاً عديدة تحتاجُ لتوقيعي فأعفاني جرحُ يدي من الإمضاءِ حتى لا يسبِّبَ خطّي أيَّ شكّ. ثم قابلتُ بعضَ السفراء.

أخيراً أصبحتُ وحيداً مع سابت وفريتز وكان علينا أن نُقرِّرَ الخطوةَ التاليةَ التي يجبُ القيام بها.

ـ «يجبُ أن نذهبَ فوراً لإلقاءِ القبض على ميشال الأسود». قال فريتز.

فردّ سابت: «هدّىء من روعِك، أيَتْرُكُ ميشال الملكَ حيّاً بعدَ وقوعِهِ هو في الفخ؟»

ـ «إن الشعبَ لن يستنكِرَ هجومَ الملكِ على أخيهِ العزيز دون أيِّ مبرِّرٍ». أضفتُ قائلاً.

ـ «إذاً سنقفُ مكتوفي الأيدي»! قال فريتز.

ـ «لا بل سنتصرَّف برَوِيَّة».

فقال فريتز بعدَ تفكيرٍ طويل: «إن في سترالسو ثلاثة رجالٍ فقطْ من رجالِ ميشال الستة».

ـ «ثلاثةٌ فقط؟» تساءَلَ سابت. «هذا يعني أن الثلاثةَ ما زالوا في زندا يحرسونَ الملك مما يدلُّ على أن مَلِكنا ما زال على قيدِ الحياة».

فردّ فريتز فرحاً: «طبعاً، فلو أن الملك قد قُتِلَ لكان الرجالُ الستةُ كلُّهمْ هنا مع ميشال لأنه موجودٌ هنا الآن».

ـ «مهلاً! مهلاً! مَنْ هُمْ هؤلاء الرّجالُ الستة؟» تساءلت باضطراب.

قال سابت: «ستجتمعُ بِهِمْ قريباً. إنهم دائماً في خدمةِ ميشال ولا يتوانون لحظةً عن أداء أية خدمةٍ له. ثلاثةٌ منهم من رورتيانيا، أحدُهم فرنسي، وآخرُ بلغاري، أما الأخيرُ فهو إنكليزي».

ـ «إنهم مستعدُّون لقتلِ أيِّ كان، لو أمَرَهُمْ ميشال بذلك». قال فريتز.

ـ «لعلّهم سيقتلونني أنا». قلتُ مازحاً.

سأل سابت فريتز: «من همُ الموجودون هنا الآن؟»

ـ «برسونين ودوغوتيهِ وديتشارد».

ـ «الأجانبُ طبعاً. هذا واضحٌ فالرورتيانيّون يحرسون الملك مما يضمَنُ عدمَ بَوْحِهم بشيء عن لعبةِ ميشال لاشتراكهِمْ فيها أنفسِهِمْ».

لقد كان جزءاً من خطتي أن أكسبَ محبةَ الشعبِ وثقتَهُ. لذلك أمرتُ بجوادي وتنزَّهتُ في إحدى الحدائقِ العامةِ مع فريتز ثم طفنا في بعضِ شوارعِ المدينةِ. وما إن تجمَّعَ حولنا الناسُ لرؤيةِ الملك عن قُرْب حتى توجّهتُ إلى منزل الأميرةِ فلاڤيا.

أثار عملي هذا حماسةً لدى الناس حتى أنني سمعتُ صرخاتِ الاستحسانِ تعلو هنا وهناك.

وقد كانَ رئيسُ الوزراءِ قد صرَّحَ لي لدى اجتماعنا أن الشعبَ سيفرحُ كثيراً إذا ما أعلنتُ خطبتي على الأميرة فلاڤيا. لكنه بالطبعِ لم يكنْ يدري بالصعوباتِ التي تعترضُ طريقي.

وبما أنَّ للأميرةِ شعبيةً كبيرة فلمْ أجدْ بأساً من أن أقومَ بزيارتها، بل على العكسِ كنتُ بعملي هذا أعزّزُ من مركزِ الملك.

استغربتُ حماسَةَ فريتز التي بَدَتْ واضحةً لزيارةِ الأميرة حتى علمتُ أنَّهُ كانَ يرغبُ في رؤيةِ الكونتيسة هلجا وصيفة الأميرةِ وإحدى صديقاتِها.

كان عليّ تمثيلُ دورٍ صعبٍ جدًا: يجبُ أن أُظهِرَ حبّي للأميرةِ دونَ أن أسمحَ لنفسي بالوقوع في حُبِّها وأن أبْذُلَ جهدي لاجتذابِها إليّ دون

أن أتعلّقَ بها. وما زادَ الأمر صعوبةً فتنةُ الأميرةِ وسحرُها، فقد كانت أجملَ من رأيتُ في حياتي كُلِّها.

ـ «لَكَمْ أنا سعيدةٌ وفخورةٌ بك يا رودلف وبالتغيير الذي طرأ عليك». قالتْ الأميرة فلاڤيا. «إنك كالأمير عند شكسبير الذي تحوَّلَ إلى شخصٍ آخرَ عندما أصبحَ ملكاً، لدرجةِ أن وجهَكَ اختلف عليَّ شيئاً ما».

أثار هذا الكلام خوفي، فغيّرتُ الموضوع قائلاً: «لقد سمعتُ أن أخي قد عاد من رحلةٍ قامَ بها مؤخراً».

ـ «أجلْ إنه هنا». قالت بامتعاض.

فقلت: «أنا سعيدٌ بوجودِهِ هنا».

ابتسمت فلاڤيا وقالت: «أنت تعني؟..»

ـ «أعني أننا بوجودِهِ هنا نستطيعُ أن نرى عن كثبٍ ماذا يفعلُ، لعلَّهُ يريدُ القيامَ بعملٍ معيّن. ولكن لماذا أنتِ سعيدة؟»

فأجابت: «أنا لمْ أقُلْ إنني سعيدة لأني لا أكترثُ البتة لما يقومُ به الدوق ميشال».

ما إن ختمتْ فلاڤيا كلامها حتى سمعنا هتافاً في الشارع فأطَلّتْ من النافذة وقالت: «إنه الدوق ميشال، لقد وصل!»

تبسّمتُ لكنني لم أقُلْ شيئاً حتى سمعتُ وقعَ خطواتِهِ خارجَ الغرفةِ فتحدّثت مع فلاڤيا في مواضيعَ مختلفة. استمرَّ ذلك لبعضِ الدقائقِ

وكنتُ لا أزال أتساءَلُ عن سببِ مجيء ميشال إلى هناك. وفجأةً ولدهشتي سألَتني فلاڤيا باضطراب:

ـ «أتظنُّ أنَّهُ من الحكمةِ أن تُغيظَهُ؟»

ـ «ماذا؟ مَنْ؟ مَنْ هو الذي أُغيظ؟»

ـ «بجعلِهِ ينتظرُكَ هكذا».

فقلت: «يا ابنةَ عمي العزيزة. إني لا أنوي أبداً أن أجعلَهُ ينتظر».

ـ «ليدخُل إذاً».

ـ «بالطبعِ إذا رغبتِ».

نظرتْ إلي فلاڤيا باستغرابٍ وقالت: «كم أنت مضحكٌ، إنك تعلمُ أنَّهُ ليسَ بمقدور أحدِ الدخولُ ما دمتَ أنت هنا».

تلكَ كانت ميزةً حلوةً من ميزاتِ الملك، لكنني لعنتُ فريتز بيني وبين نفسي لعدمِ إطلاعي على هذه الميزة، فقد كدتُ أن أرتكبَ غلطةً خطيرةً. عند هذا هببتُ واقفاً واتجهتُ نحو البابِ وأدخلتُ ميشال قائلاً:

ـ «لو كنتُ أدري يا أخي أنكَ هنا لما تركتُكَ تنتظرُ لحظةً واحدة»!

شكرني ميشال ببرود. فبالرغم من مزايا هذا الرجلِ العديدة إلا أنه لم يستطعْ إخفاءَ مشاعره، إذ إنَّ باستطاعةِ أيٍّ كان أن يُدرِكَ مدى كُرهِهِ لي، هذا الكُره الذي تفاقم بوجود فلاڤيا معي. لقد كانَ يعلمُ أنني لستُ الملكَ لكنَّهُ حاول أن يُخفيَ ذلكَ عني.

ـ «يَدُكَ مجروحةٌ، أليسَ كذلك؟» سألني ميشال.

فقلتُ غيرَ مبالٍ: «أجل، لقد حاولَ أحدُ الكلابِ أن يعقُرَني بينما كنتُ ألاعِبُهُ».

فهم ميشال ما عنيتُ فابتسمَ بحقد وقال:

ـ «لكنَّ العقرةَ ليستْ خطيرةً، أليسَ كذلك؟» تساءلت فلاڤيا.

ـ «لا أبداً، لكنني لو تركتُهُ يعقُرني بعمقٍ أكبر لاختلفَ الأمرُ كثيراً».

فقالت: «لقد تخلّصتُمْ من الكلب بالطبع».

ـ «كلا، إننا ننتظِرُ ما إذا كانت العقرةُ خطيرة».

ـ «وفي حال كانت خطيرةً؟» سأل ميشال.

ـ «سيقطَعُ عُنقُ الكلبِ يا أخي العزيز».

ثم تذكّرت بأنني يجبُ أن أكون لطيفاً معه فشكرتُهُ على الترتيبات العظيمةِ التي أقامها من أجلِ حفلةِ التتويج وما من الحفلة من مراسيم.

ولم يستطع ميشال احتمالَ كل هذا فنهضَ قائلاً: «هناك ثلاثةٌ من أصدقائي يَتُوقونَ للتعرفِ إليك. إنهم هنا في الغرفةِ الخارجيةِ».

فقلت بأدب: «أصدقاؤك هم أيضاً أصدقائي». ومشيتُ نحو الباب.

حيَّا ميشال الأميرةَ، ولقد غمرتْني النظرةُ المرتسِمَةُ على وجهِهِ بسرورٍ داخلي.

حين دخلنا الغرفةَ الأخرى نادى ميشال رجالَهُ ثم عرّفني إليهمْ واحداً واحداً فقبّلوا جميعُهُمْ يدي.

كان دوغوتيه طويلاً نحيفاً بشاربين كبيرين، أما برسونين البلغاريِ فقد كان متوسّطَ الطولِ يميلُ إلى السمنة، وبالرغم من صِغَر سنِّهِ فقد كان أصلعَ الرأس. وأخيراً الإنكليزي ديتشارد الذي كان ذا وجهٍ نحيلٍ وشعرٍ أشقرَ قصيرٍ والذي بدا لي محارباً ماهراً لكنه مخادعٌ غير شريفٍ.

كَلّمْتُهُ بالإنكليزيةِ بنبرةٍ تعمّدتُ أن تبدو غريبةً عن الإنكليزية، ولاحظت ابتسامتَهُ مع أنه حاول إخفاءها فأدركت أن ديتشارد على علمٍ بالسر.

عدتُ بعد انصرافهِم إلى الأميرة لأودِّعَها قبلَ ذهابي فقالت بصوتٍ منخفض:

ـ «كنْ حذراً يا رودلف».

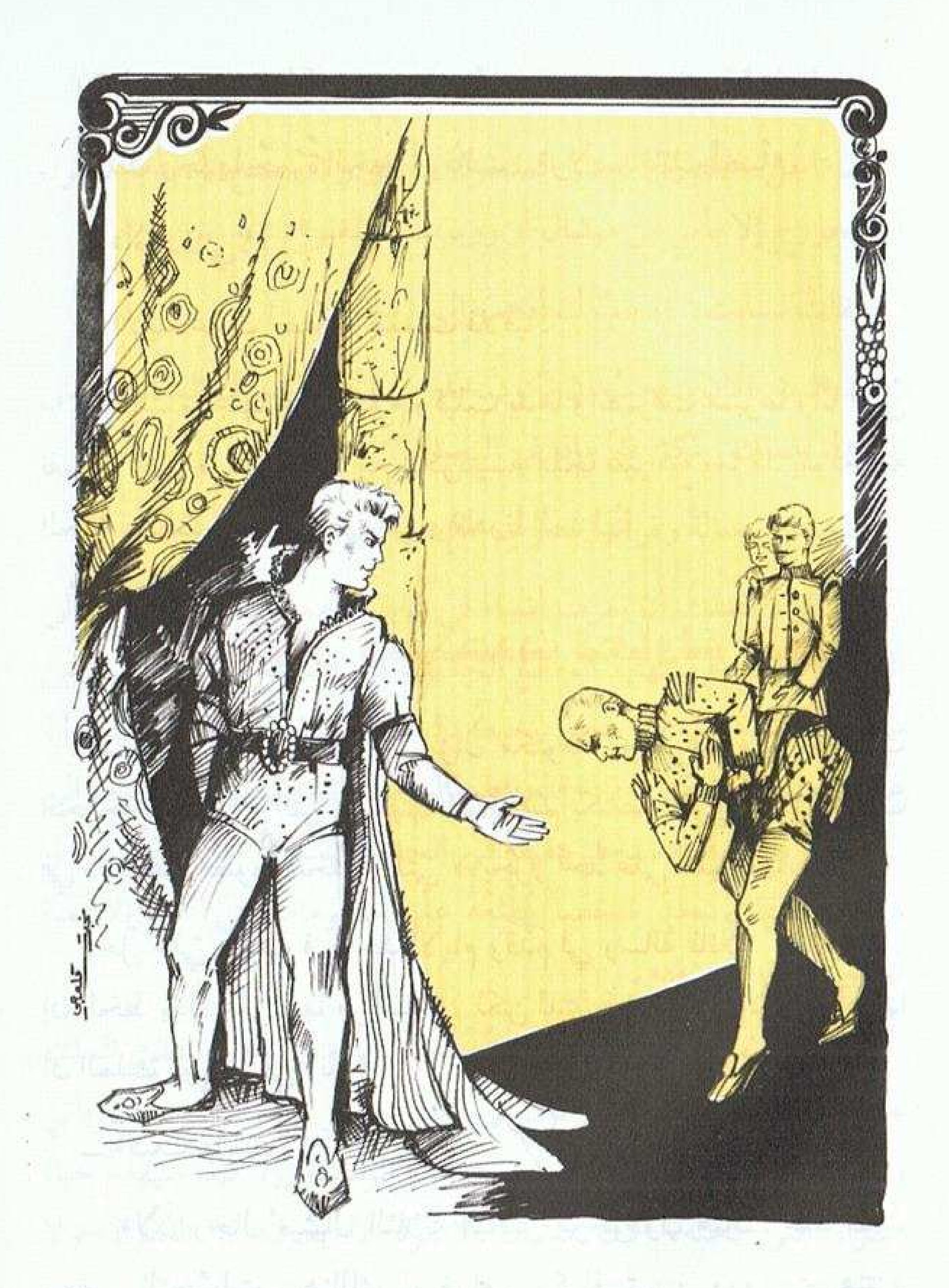
ـ «من ماذا؟»

ـ «أنت أدرى، أنا لا أستطيعُ أن أقول. ولكن فكّرْ كم أن حياتَك غاليةٌ ومهمّةٌ بالنسبة..».

ـ «بالنسبةِ لمن؟» سألتُها.

ـ «لرورتيانيا».

أكنت أجيدُ تمثيل دوري أم لا، إنني لستُ أدري، لكنني همستُ برفق:



هناك ثلاثة من أصدقائي يتوقون للتعرف إليك

ـ «لرورتيانيا فقط؟»

فَعَلَتْ وجهَها حُمرَةُ الخجل وقالت: «ولأصدقائك أيضاً».

ـ «أصدقائي؟»

ـ «لابنة عمّك أيضاً». همست فلاقيا.

عجزتُ ساعتَها عن الكلام وقبّلت يدها وانصرفت مسرعاً وأنا ألعَنُ نفسي. كان فريتز جالساً مع الكونتيسة هلجا غير آبهٍ بما قد يقولُهُ عنه الخدم، فهبَّ واقفاً لدى رؤيتي وغادرنا المنزل.

٦ ـ استعمال مستحدث لطاولة الشاي

مضت عدةُ أيامٍ والسرُّ لا يزالُ مكتوماً، وبالرغم من اللحظاتِ الحرجَةِ والأخطاءِ التي ارتكبتُها إلا أنَّهُ لم يُكشفْ أمري. لعلَ السبب في ذلك هو خطورَةُ الخدعةِ التي لا يجرؤ أحدٌ على القيامِ بها.

دخَلَ عليّ سابت في أحد الأيام وقَدَّمَ لي رسالةً قائلاً: «هذهِ لكَ. إن الخط يدُلُّ على أنها من سيدة. لكن لديَّ قبلاً بعضُ الأخبار أهمّها أن الملِكَ موجودٌ في زندا».

ـ «كيف علمت؟»

ـ «لأنَ رجال ميشال الثلاثة الباقين موجودون هناك. لقدْ قُمتُ ببعضِ التحريّات. هنالك لونغرام، وكرافستين، وروبرت هنتزو الصغير، أي الأوغادُ الثلاثة».

ـ «أمتأكدٌ أن الملك هناك؟» سألت سابت.

ـ «أجل. فقد رُدَّ الجسرُ المتحركُ وأُغلقَ ولا يُسمحُ لأحدٍ بالدخولِ أو الخروج إلا بأمرٍ من ميشال أو روبرت الصغير».

فقلتُ لسابت: «يجبُ أن أذهبَ إلى زندا».

ـ «ليس الآن، يجبُ أن نكونَ حذرين لأن الاشتباكَ المفتوحَ يعني الموتَ للملك. لكن قُلْ ماذا في الرسالة؟»

فتحتُ الرسالةُ وقرأتُها بصوتٍ عالٍ فإذا بها:

«لو أرادَ الملكُ أن يعرفَ أشياءَ في غايةِ الأهميةِ، عليه أن يأتي إلى المنزل الواقع في نهايةِ الجادّةِ الجديدةِ في الساعة الثانية عشرةَ من منتصف هذه الليلة ولوحدِهِ. يحيطُ بالمنزلِ حديقةٌ كبيرة وهنالك بوابة عند الحائطِ الخلفي. فإذا فتَحَ هذه البوابة واتجه يميناً ومشى حوالى العشرين ياردة فإنه سيجدُ سقيفةً في الحديقةِ يُستظَلُّ بها صيفاً. داخل هذه السقيفة سيجدُ شخصاً يُطْلِعُهُ على معلوماتٍ في غايةِ الأهميةِ تتعلقُ بحياته وبعرشِهِ.

«إن كاتبَ هذه الرسالةِ صديقٌ مخلصٌ. وفي حالِ رفضِ الملك هذه الدعوة فإن حياتَهُ ستكونُ في خطر حتمي. لكنهُ يجب أن يأتي وحيداً وألّا يُطْلعَ أحداً على مضمون هذه الرسالة وإلا فإنه سيهدمُ حياةَ المرأة التي تُحبُّهُ، لأن ميشال الأسْود لا يعرفُ لا الغفرانَ ولا الرحمة».

ـ «لنْ تذهبَ. إن باستطاعةِ ميشال أن يُملي على أحدِهم رسالةً

لطيفةً كهذه». كان هذا تعليقُ سابت لدى انتهائي من قراءة الرسالة.

إنه نفسُ ما فكّرتُ به، ولقد شرعتُ في رمي الرسالةِ عندما لاحظتُ شيئاً مكتوباً على الجانبِ الآخرِ من الورقة:

«في حالِ تردُّدِكَ أَخْبِرِ الكولونيل سابت بالأمر، واسألْهُ عن أقصى ما يمكن أن تقومَ به سيدةٌ لتمنعَ الدوق من الزواجِ من ابنةِ عمه، وبالتالي لتمنعه من أن يصبح ملكاً؟ أمّا اسم هذه السيدة فيبتدىء بالحرف «أ»..».

ألقى سابت غليونَهُ جانباً بينما انتفضتُ أنا واقفاً وصرخت: «إنها أنطوانيت دوموبان».

ــ «كيف عرفتَ؟» سألني سابت.

فأخبرته عن لقائنا في المحطة ونحن في طريقنا إلى سترالسو، فقال لي سابت إنه علمَ أن أنطوانيت على خلافٍ مع ميشال.

ــ «قد تساعدُنا لو أرادت».

فقال سابت: «لكنني أشعرُ أن ميشال هو الذي أملى عليها هذه الرسالة».

فأجبتُهُ: «وأنا أيضاً، لكنني أريد التأكد من هذا ولذلك سأذهب».

ــ «لا! أنا الذي سأذهب». قال سابت.

ــ «قد تأتي لكنك ستقف عند البوابة».

ــ «بل سأدخل إلى السّقيفة».

فقلتُ بهدوء: «إنني يا سابت أثِقُ بهذه المرأةِ ولذلك سأذهب».

ــ «أنا لا أثقُ بأية امرأةٍ ولذلك لن تذهب».

فقلت بحزم: «إما أن أذهب إلى السقيفةِ أو أعودَ إلى إنكلترا».

كان سابت قد بدأ يفهمُ طباعي وأدركَ أنني لن أتراجعَ عن رأيي فقال: «حسناً، إنني موافقٌ».

ولكي نسرد القصةَ باختصارٍ أقولُ إننا امتطينا جوادينا في حوالى الساعة الحادية عشرة ليلاً تاركينَ فريتز ليقومَ بالحراسة.

كانتِ الليلةُ حالكةَ السوادِ ولقد حملتُ معي فانوساً، وعند وصولنا إلى البوابةِ ترجّلتُ عن جوادي.

فقال سابت: «سأنتظرُكَ هنا، وإذا سمعتُ صوتَ رصاصٍ سأهرعُ إليك».

ــ «إبقَ أنت. إنها فرصةُ الملكِ الوحيدة، يجبُ أن تبقى أنت حيًّا».

ــ «أنت على حق. حظًّا سعيداً!»

دخلتُ من البوابةِ إلى الحديقة واتجهت يميناً كما هو مذكورٌ في الرسالةِ. عبرتُ الممرَّ وفانوسي ما زال منطفئاً بينما حملتُ مسدسي في اليد الأخرى. وما هي إلا لحظات حتى وصلتُ إلى مبنى أسودَ كبير. فقلت في نفسي، إنه السيقفةُ بلا شك. صعدتُ الدرجات بهدوء ودفعتُ البابَ ودخلت. هرعت امرأةٌ نحوي وأمسكتْ بيدي وهي تهمس:

ـ «أقفلِ البابَ».

أقفلتُ البابَ وأضأت مصباحي فإذا بي أمام أنطوانيت دوموبان التي بدت في الظلام آيةً في الجمال.

كلُّ ما حَوَتْهُ الغرفةُ الصغيرةُ كانَ عبارةً عن كرسيٍّ أو اثنين وطاولةٍ حديدية صغيرة كالتي تراها في المقاهي.

بادرتني أنطوانيت بالكلام قائلة: «لا مجال الآن للكلام، اسمعني أنت فقط. إنني أعلمُ أنك السيد رزيدانتيل ولقد كتبت رسالتي إليك بناءً لأوامرِ الدوق ميشال».

ـ «هذا ما اعتقدتُهُ».

فقالت: «خلالَ عشرينَ دقيقة سيصلُ إلى هنا ثلاثةُ رجالٍ لقتلِكَ».

ـ «ثلاثة؟ الثلاثة أنفسُهُمْ؟»

ـ «أجل. يجبُ أنْ تذهبَ خلالَ هذا الوقت وإلا سيقتلونك».

فقلتُ بحزم: «أنا الذي سأقتلُهُمْ».

ـ «اسمعْ جيداً، عندما سيقتلونك سيرمونَ جثَّتَكَ في المدينةِ وعندما يُعلَنُ خبر موتِكَ سيلقي ميشال في الحال القبضَ على الكولونيل سابت وفريتز ڤان ترلنهايم، وسيضع المدينة تحت الحكم العسكري. بعد ذلك سيأمرُ معاونيهِ الثلاثة في زندا بقتل الملك في القصرِ هناك، وبهذا يُعلنُ نفسَهُ ملكاً على روريتانيا ويتزوج من الأميرة».

ـ «إنها خطةٌ جيدةٌ، ولكن ما غَايَتُكِ من إخباري بكل هذا؟» سألتُ أنطوانيت.

ـ «اخترْ أيّ تبرير، لعلّها الغيرة إن أردت. يجبُ أن تذهبَ الآن، وتذكّر أنك في خطرٍ دائم. أمعكَ حارسٌ الآن؟»

ـ «أجل، إنهُ سابت وهنالك آخرون».

ـ «حسناً، إن رجالَ ميشال لا يبعدون الآن أكثر من مئتي ياردة من هنا. اذهب الآن، ولكن ليسَ عبرَ البوابةِ التي دخلتَ منها لأن هنالك من يحرسُها الآن. ستجدُ سُلَّماً قربَ حائطِ السقيفةِ هذهِ، اصعدْهُ وانْجُ بنفسك».

قلت بامتنان: «لقد ساهمتِ في إنقاذِ الملكِ الليلةَ وعرَّضتِ نفسك للخطر. هل الملكُ مُحْتَجَزٌ في القصر؟»

فأخفضتْ صوتَها وقالت بِوَجَلٍ: «بمواجهةِ الجسرِ المتحرك هنالكَ بابٌ ضخمٌ، إنه يرقُدُ وراءَهُ. اسمع! ما هذا؟»

سمعنا وقعَ أقدامٍ في الخارج، فقالت أنطوانيت:

ـ «إنهمْ قادمون! أطفىء الفانوس!»

أطفأت الفانوسَ واسْتَرَقْتُ النظر عبرَ شقٍّ في الباب فرأيت ثلاثة أشخاص. حملتُ مسدسي فأسرعت أنطوانيت وأمسكتْ بيدي قائلةً:

ـ «قد تقتلُ واحداً ولكن ماذا عن الآخرين؟»

سمعتُ أحدَهُمْ ينادي في الخارج بإنكليزيةٍ واضحة:

ـ «يا سيد رزيدانتيل، إننا نودُّ التحدثَ معكَ فهل تَعِدُنا بعدم إطلاق الرصاصِ حتى ننتهي من كلامنا؟»

فقلت بسخرية: «هل لي شرفُ الحديثِ مع السيد ديتشارد؟»

ـ «دعنا الآن من الأسماء».

فقلتُ: «دعك من اسمي أوّلاً».

ـ «حسناً يا سيدي، إنني أقدّمُ لك عرضاً».

كنتُ لا أزالُ أراقبهُمْ عبر شقِّ البابِ وكان الثلاثة قد صعدوا درجتين اثنتين موجِّهين جميعاً مسدساتهِمْ نحو الباب.

ـ «هل تدعُنا ندخل؟ إننا نُقْسِمُ بشرفنا أن لا نطلقَ رصاصة واحدة!»

فهمستْ لي أنطوانيت: «لا تثقْ بكلامِهِمْ».

ـ «نستطيع أن نتكلم عبر الباب ونحن في أماكنِنا». قلتُ بصوتٍ عالٍ.

ـ «أتعدُنا بعدمِ فتحِ الباب وإطلاقِ الرصاص؟»

ـ «أَعِدُكُمْ أن لا أكونَ البادىء بإطلاقِ النارِ، ولكنني لن أدعَكُمْ تدخلون، إبقوا خارجاً ولنتكلم».

فردّ ديتشارد: «هذا معقول».

ومن خلال شقِّ الباب رأيتُ أنهُمْ أصبحوا تجاه البابِ مباشرةً لا

تُبْعِدُهُمْ عنه أيةُ درجة.

استمرّ تحذير أنطوانيت لي بقولها: «لا تثقْ بِهِمْ». لكنني لم أكنْ بحاجةٍ لأيّ تحذير فقد كنتُ واثقاً من أنهُمْ سيهجمون عليّ لحظة أبدأ بالكلام.

سألتهُمْ: «أيها الرجال، ما هو العرض الذي تتحدثون عنه؟»

ـ «جوازُ مرورٍ إلى الحدود بالإضافةِ إلى خمسين ألفَ جنيه».

فقلت: «ما هذا السخاء؟ أعطني دقيقةً للتفكير».

التفتُّ إلى أنطوانيت وهمسْت:

ـ «قفي بمحاذاةِ الحائط بعيداً عن خط النار».

فسألَتني بذعر: «ماذا تنوي أن تفعل؟»

ـ «سترَيْن الآن».

حملتُ طاولة الشاي المعدنية، التي لم تكنْ تُعتبرُ برغم ثِقَلِها ثقيلة بالنسبة لرجل بِقُوّتي. حملتُها من أرجلها بحيثُ أصبح القِسمُ الأعلى منها يشكّل ترساً يقي رأسي وجسمي. علّقتُ مصباحي في حزامي ووضعتُ مسدّسي في جيبي واحتميت بالطاولة وصرخت:

ـ «حسناً أيها السادة، لقد قبلتُ عرضكم المتوقِّفَ على مدى شرفكم فإذا فتحتُمُ الباب..»

قاطعني ديتشارد قائلاً: «افتحْهُ بنفسك».

فقلت: «إنَّهُ يُفْتَحُ نحو الخارج والأفضل أن ترجعوا قليلاً إلى الوراء».

ثم تظاهرتُ بأنني أفتحُ البابَ وَعُدْتُ سريعاً لمكاني السابق قائلاً:

ــ «لا أستطيعُ فتحَهُ وحدي، أرجو أن تسحبوهُ قليلاً باتجاهِكُمْ».

فقال ديتشارد: «أنا الذي سأفتحُهُ. أتخافُ يا برسونين من رجلٍ بمفردهِ؟»

ضحكت في نفسي، وما هي إلا لحظات حتى فُتح الباب، وإذا بالثلاثة يقفون ومسدساتُهم مُتَّجِهَةٌ نحوي.

صرختُ بأعلى صوتي وأنا أُصَوِّبُ مسدَّسي نحوهم، بينما أطلقوا عليَّ ثلاثَ رصاصاتٍ احتميتُ منها بالطاولةِ التي حملْتُ. ثم انقضضتُ عليهمْ دافعاً إياهم بواسطةِ الطاولة الحديدية بكلٍّ ما أوتيتُ من قوةٍ فتدحرجنا نحنُ الأربعة على درجات السقيفة.

وفيما كانت أنطوانيت تصرخُ نهضتُ أنا أضحكُ ساخراً.

كان دوغوتيه وبرسونين ملقيانِ على الأرضِ بلا حراك. أما ديتشارد فقد كان تحت الطاولةِ، وسرعانَ ما هبَّ واقفاً وأطلقَ النار عليّ.

حملتُ مسدّسي وفتحتُ النارَ عليهِ وأسرعتُ كالبرقِ نحوَ الحائط الذي ذكرَتْهُ لي أنطوانيت.

قلت في نفسي: «أرجو أن تكون أنطوانيت صادقةً فيما ذكرتْهُ حول وجود سُلَّمٍ، فقد كان الحائطُ عالياً».

وما إن وجدتُ السُّلَّم حتى صعدتُهُ مسرعاً نحوَ الخارج حيثُ انتظرني سابت الذي كان يحاولُ فتحَ بوابةِ الحديقةِ بإطلاق الرصاصِ عليها بعصبيةٍ كالمجنون.

ــ «هيا بنا». قلتُ لسابت ضاحكاً.

ــ «أأنت بخير؟ ما الذي يُضحكُكَ؟»

ــ «أَلَيْسَ مضحكاً أن ترى أَشْهَرَ وأخطرَ ثلاثةٍ في المدينةِ وقد هُزموا بواسطةِ سلاحٍ لا يعدو عن كونهِ طاولة شاي عادية، بالإضافةِ إلى أنني وفيتُ بوعدي ولم أكنْ أنا البادىءَ بإطلاقِ النار»؟

٧ ـ مسألة شرف

علمتُ في اليومِ التالي من تقارير البوليس السريةِ أن ميشال ورفاقه الثلاثة قد غادروا سترالسو.

وعلمتُ أن ديتشارد مصابٌ في يدِهِ ففرحتُ لأنني تركتُ أثراً في جسم ذلك اللعين. ولقد غادرتْ أنطوانيت سترالسو أيضاً، فرجَّحْتُ أن يكونوا قد ذهبوا جميعاً إلى زندا.

لكن المهم كان ما وردَ في هذا المقطع من التقرير:

«إن مماطلة الملك في اتخاذ خطوةٍ إيجابيةٍ من أجلِ إعلانِ زواجهِ من الأميرة فلافيا قد جعلَهُ موضعاً للنقدِ من الجميع، الأمر الذي أحزنَ الأميرة لدرجة أن عدداً كبيراً من الناس بدأ يقرِنُ اسمها باسم دوق سترالسو».

ــ «لقد أُمر رئيس الشرطة أن يتكلمَ بصراحة وحرّيّة». قال سابت عندما سمعَ صرختي غاضباً.

فقال فريتز: «إن ما يقالُ عن الأميرةِ صحيحٌ، فلقد أخبرَتْني الكونتيسة هلجا أن الأميرةَ مغرمَةٌ بالملك بدرجة كبيرة».

صرختُ بهم: «كفى!»

ــ «لقد أمرتُ بإقامة حفلِ راقصٍ في القصرِ الملكي الليلة على شرفِ الأميرة». قال سابت.

ــ «أهذه أخبارٌ جديدة؟» قلت منزعجاً.

فردّ فريتز: «لقد اتخذتُ التدابيرَ كلَّها».

فتقدّم سابت مني وقال: «يجبُ أن تعرضَ عليها الزواجَ الليلة».

ــ «يا إلَهي!»

فقال سابت: «أعتقدُ أنكَ تجيدُ التحدثَ مع النساء وهذا كلُّ ما يتطلّبُهُ الأمير».

قلتُ معترضاً بشدّة: «لن أدخلَ في أيةِ لعبةٍ تمسُّ الأميرة بشكلٍ أو بآخر».

نظر إليّ سابت بعينهِ الماكرتيْن وقالَ مبتسماً: «لن نضغط عليكَ كثيراً، ولكن أرجو أن تكون لطيفاً مع الأميرة كي لا تغضبَ من الملك».

خرجتُ أتمشّى مع فريتز في الحديقة وكنت أعلمُ لماذا لم يُلِحَّ عليّ

سابت في أن أغازلَ الأميرةَ وأُظهرَ حبي لها. لقد خاف أن أتأثّرَ بفتنتها الطاغية فأتمادى بحبها ضارباً باتفاقاتنا عرضَ الحائط. هذا بالرغم من شعوره بمدى حزنها، إلا أنه في حالِ نجاةِ الملك فإنها ستتزوجُهُ وقد تعلمَ ـ أو لا تعلم ـ بكل هذه اللعبة. أما في حالِ عدمِ إنقاذِ الملكِ، فقد كنت على يقين من أن سابت يعتزمُ أن يبقيَني على العرش على أن يستولي عليه ميشال الأسود.

كانت الحفلةُ الراقصةُ رائعةً، وَلَكَمْ كانَ صعباً أن أُظهرَ بروداً ولامبالاة تجاه تلك المرأةِ الجميلةِ وخاصة عندما التقت عينانا وأنا أراقصُها. وما كان مني إلا أن تناولتُ وردة رورتيانيا الحمراء من حول عنقي ووضعتها حولَ عنقها. صفّق الجميع إثر هذا فرِحين، ونظرتُ إلى سابت فإذا به يبتسم بينما قَطَّبَ فريتز حاجبيه.

عند انتهاءِ الحفل جلستُ والأميرة وحدنا في غرفةٍ صغيرةٍ مطلّةٍ على الحديقة. كنتُ أتصارعُ مع نفسي، ولو أنها لم تنظرْ إليّ بعينيها الجميلتين في تلكَ اللحظةِ لكنتُ كسبتُ المعركة، ولكن نظرتَها غيَّرتْ كل شيء. نسيتُ ساعتها أنني ملك سترالسو، ونسيتُ الملك الحقيقي الموجودَ في زندا. وأمام فتنتها الطاغية ركعتُ قرب كرسيها وأخذت يديها بين يدي ناسياً أنني لستُ سوى مخادعٍ كاذب.

فأبعدتني عنها بلطفٍ قائلةً: «أهذا صحيح؟ أم أنك تفعل هذا لأنك يجبُ أن تفعلَهُ؟»

ــ «لا، إنها الحقيقة! إن حبي لك يفوقُ الحياةَ والحقَّ والشرف!»

ــ «أشعرُ وكأنني بدأتُ أحبكَ الآن يا رودلف».

— «الآن؟»

— «أجل، مؤخراً فقط، وكأنني لم أُحِبكَ قبلاً قط».

شعرتُ عندئذٍ بنشوة النصر. إن الأميرةَ تحبُّ رودلف رزيدانتيل وليس الملك. لَكَمْ كنتُ سعيداً!

— «ألمْ تحبيني قبلاً؟»

فرفعت رأسها ونظرت إليّ وهي تبتسم: «لعلّي أحببتُ تاجَك. لكنني لم أُحس بحبك إلا يوم التتويج».

— «أوه يا فلاڤيا، لو افترضنا أنني لم أكنْ ملكاً؟»

— «كن من تكون فإنني سأحبُّك دوماً». قالت فلاڤيا.

فقلت محاولاً إنقاذ شرفي وقد بدا صوتي غريباً وكأنّه ليس صوتي:

— «فلاڤيا، إنني لستُ..».

تَجَمَّدَتِ الكلمات على شفتيّ وأنا أسمعُ وقعَ خطواتِ سابت الذي ظهرَ فجأةً في الغرفة. انحنى سابت وقال:

— «أرجو المعذرة يا سيدي، لكن الكاردينال ينتظر منذ حوالى الربعِ ساعة لكي يودّعَك».

التقت عيناي بعينيه الغاضبتين، وَعَلِمْتُ أنَّهُ كانَ يريدُ أنْ يُنبّهَني. لا أعلمُ كم مضى عليه من الوقت وهو يسترق السمْعَ إلينا، إلا أنَّهُ قطعَ الحديثَ في الوقتِ المناسب.

— «يجب ألاّ أتركَ الكاردينال منتظراً هكذا». قلت لفلاڤيا.

فالتفتتْ إلى سابتْ وقالت: «لكم أنا سعيدة!»

قبّلَ سابت يديها وقال: «ليحميَ الله سموَّكِ! وليكن الملكُ فوق الجميع!»

— «أجل ليحمي الله الملك!»

عدتُ إلى قاعةِ الرقصِ حيثُ كان سابت ينتقل بين الجموع، وأينما حلَّ انتشر الهمسُ والبسمات. فقد كان هدَفُهُ الوحيد أن يحمي العرش ويهزمَ ميشال الأسود. وبما أن مثلَ هذه الأخبار سريعةُ الانتشارِ فلقد أحاطتني حشود غفيرةٌ من الناس وأنا أوصلُ الأميرة فلاڤيا إلى عربتها لدى مغـادرتِها القصر. لقد حيّونا بهتافات مدوّية. لم يكنْ بإمكاني القيامُ بأي شيء فلقد جعلتني حيلةُ سابت ومشاعري التي لم أقوَ على كبحها أقفُ هذا الموقفَ الذي لم أستطعْ الرجوعَ عنه.

ما إن أصبحنا سابت وفريتز وأنا وحيدين حتى قلتُ لسابت:

— «لقد فقدتُ شرفي من أجلكَ فهل تريدُني أن أصبح مجرماً أيضاً؟ بالله عليك دعنا نذهب إلى زندا ونقضي على ميشال الأسود، ونعيدُ الملك».

— «هل تعبتَ أو مللتَ؟»

فقاطعته قائلاً: «بمقدوري أن أتزوّج الأميرة، ولن تستطيعَ منعي فما من أحدٍ سيصدِّقُكَ لو أعلنتَ الحقيقة».

ـ «أعرف هذا». ردّ سابت.

ـ «أستذهبُ إلى زندا؟»

ـ «أجل، فأنا خادمُ الملك، حماهُ الله، هيا بنا إلى زندا».

رسمنا كلَّ شيءٍ بسرعة وأعطيتُ المارشال ستراكنز الأوامرَ التي يجبُ أن تنفَّذَ في حالِ مقتلِ الملك. وظن المارشال أنني أعني نفسي فأظهر اضطرابَهُ وقال:

ـ «ليحمي الله سموَّكَ. يبدو أن رحلتَكَ مليئةٌ بالمخاطر».

ـ «آمل أن يحميَ الله الجميع».

لقد كان صعباً عليّ أن أخبرَ فلاڤيا برحيلي. لكنها كانت قد سمعت بأخبار رحلةِ الصيدِ المزعومة، إذ انتشر في كلِّ مكانٍ أنني أنوي القيامَ بها.

ـ «لَكَمْ أنا آسفةٌ لأننا لم نستطع القيامَ بتسليتك كما يجب هنا في سترالسو». قالت فلاڤيا ببرود. «كان يجبُ أن نقومَ بتسليتِك ولكنني كنتُ غبيةً لدرجة أنني ظننتُ ـ لأيام خلتْ ـ وبعد لقاءِ الليلة الماضية..»

ـ «نعم؟»

ـ «قد تكونُ سعيداً دونما حاجةٍ إلى مظاهرِ الابتهاج المعتادةِ. لقد علمتُ أنك ذاهبٌ لصيد الخنازيرِ البرّيّةِ، وآملُ أن تُمضي وقتاً ممتعاً».

رأيت دمعةً تنحدرُ على خدّها فلعنتُ نفسي وقلت:

ـ «أتظنّيني يا عزيزتي أنني قد أتركك لأذهب للصيد؟»

ـ «إذاً... ماذا....؟»

ـ «إنهُ صيدٌ بالفعل ولكنَّ الخنزير سيكونُ ميشال».

فشُحبَ وجهُها وسألتني: «متى ستعودُ يا رودلف؟»

قلتُ بأسىً: «لا أعرفُ متى سأعود».

ـ «عُدْ سريعاً يا رودلف! عُدْ سريعاً!»

ـ «أجل، سأعودُ بإذنِ الله مرةً أخرى لأراك قبل أن أموت».

ـ «ماذا تعني؟»

ولم أستطع أن أعترفَ بالحقيقةِ فقد فاتَ الأوان، فقلت:

ـ «سأعودُ إليك، إلى أجملِ امرأةٍ في العالم، ولن يقدرَ ميشال ولا الألوف على إبعادي عنك».

أراحتها كلماتي هذه قليلاً فسألتني:

ـ «ألن تسمحَ لأحدٍ أن يبعدني عنك؟»

ـ «كلا يا حبيبتي».

إلا أنهُ كان هنالك شخصٌ غيرُ ميشال باستطاعته، لو أراد، إبعادي عنها. ومن أجلِ حياةِ هذا الشخصِ بالذات كنتُ سأخاطرُ بحياتي وأبتعدُ عن فلاڤيا.

لم أستطع احتمالَ أكثر من هذا فهرعتُ إلى الطريقِ ممتطياً جوادي وأسرعتُ نحو القصر.

وفي اليوم التالي كنت مع سابت وفريتز وعشرة رجالٍ في طريقنا إلى زندا في القطار الذي اختيرَ خصيصاً من أجل تلك المهمة.

ولقد أُخبرَ هؤلاء الرجال العشرةُ عن الهجوم الذي قام به ميشال الأسود علينا في السقيفةِ بِنيَّةِ الاستيلاءِ على العرش، كما أنهم أخبروا بأن صديقاً عزيزاً للملك قد سُجِنَ في قصرِ زندا وأن إحدى مهمّاتِ هذه الرحلةِ كانت لإنقاذِهِ. ولشدّة تهذيبِهِمْ وشجاعتهِمْ وولائهم للملك لم يحاولْ أحدُهم أن يسأل المزيد. لقد كان كافياً أن يحتاجهمْ الملكُ فيهبّوا لخدمتِهِ غيرَ آبهين بالموت.

كنا سنذهبُ إلى قصرِ ترلنهايم الذي يخصُّ عمَّ فريتز. كان القصرُ بناءً حديثَ الطراز يبعدُ عن زندا حوالى الخمسة أميالٍ على الجانبِ المقابلِ للجهةِ التي يقعُ عليها قصرُ ميشال.

لقد بُني على قمةِ تلةٍ تحيطُهُ من كلِّ جانبٍ الغاباتُ التي اشتهرت بكثرة الخنازيز البرِّيَّةِ فيها. ومن الطبيعي أنَّ السبب الحقيقيَّ لاختيارِنا لهذا القصر كان موقعَهُ القريب من قصر ميشال.

لن يُخدع ميشال بالطبع بروايةِ صيدِ الخنازير فإنهُ يعلمُ حقَّ المعرفةِ سببَ مجيئنا وسيأخذُ احتياطاتِهِ لمنعِنا مما ننوي القيامَ به. لم تكنْ هذه هي العائقةُ الوحيدةُ فكل خطوة كنا سنقوم بها يجبُ أن تكونَ علنيةً مما عرقلَ علينا أموراً كثيرة. وهذه إحدى الميزاتِ الملكية التي وجدتُها مزعجةً جدًا.

كان همّنا أن نُخرجَ الملك من قصرِ زندا حيًا. ولم نحاولْ اللجوءَ إلى القوةِ فالحيلةُ كانت طريقنا الوحيد. كنا واثقين من أن ميشال لن يعمدَ إلى قتلِ الملكِ إلا إذا قتلني أولاً، ظنّاً منهُ أنني لم أَقُمْ بدور الملك بدافعِ من مروءتي وشرفي بل لأسبابٍ شخصية. إنه لا يدركُ السبب الذي يدفعُ برجلٍ في مركزي إلى التضحية بحياتِهِ وإلى خسارةِ كل شيءٍ لكي يخلّصَ حياةَ ملكٍ لا تربطهُ بهِ أيةُ صلةٍ. وبنظره أن غرضي من زيارةِ زندا هو القضاءُ على الملكِ لكي أستولي على العرش ولكي أحظى بالأميرة.

أكّد لنا هذا، أن ميشال لن يمسَّ الملكَ بسوءٍ ما دمتُ أنا حيّاً، الأمر الذي ملأني بالشجاعة ومنحني بعضَ الطمأنينةِ التي كنت أفتقدها.

وهكذا وجدت نفسي مرةً أخرى في زندا.

٨ - كمين ينصب

كان ميشال واثقاً من مجيئي لدرجة أنهُ أرسلَ بعد ساعةٍ واحدةٍ من وصولي ثلاثةً من رجالِهِ للترحيبِ بي.

ولقد كان لائقاً جدًا فلم يُرسِلِ الرجالَ الذين حاولوا اغتيالي بل الثلاثة الرورتيانيين أي لونغرام، وكرافستين، وروبرت هنتزو.

كانوا برئاسة روبرت الذي لا يتجاوزُ الثالثةَ والعشرينَ من العمر والذي رحّبَ بي بكلمات مؤدبةٍ ومقتضبةٍ. قال: «أخي يعتذرُ عن عدمِ مجيئِهِ لاستقبالك بسبب مرضٍ ألمَّ به».

فقلت: «آسفُ لسماعي هذا. لقد علمتُ أيضاً أن السيدَ ديتشارد قد جُرح فهلْ هو الآن بخير؟»

ضحك روبرت وقال: «إنه يأملُ أن يجد الدواء لجرحهِ قريباً يا سيّدي».

فضحكت أنا بدوري لأنني أعرفُ أن دواءَ ديتشارد هو الثأر.

بعد ذلك اعتذرَ الرجالُ وغادروا القصر.

لم أتناول طعام العشاء في القصرِ بل ذهبتُ وفريتز إلى البلدةِ الصغيرةِ حيثُ النُزُلُ الذي حللتُ فيهِ ليلةَ وصولي إلى رورتانيا.

لم يشكّلْ ذهابُنا أي خطرٍ لأن الليلةَ كانت مقمرةً والطريقَ الذي سلكناهُ إلى البلدة كان مأهولاً. لكنني برغم هذا غطّيتُ رأسي وقسماً من وجهي لأمنعَ الفضوليين من رؤيتي.

وفي الطريق قلت لفريتز: «أطلبْ غرفة خاصة لرجلينِ من رجالِ الملك وادّعِ أن أحدهم يشكو من ألم في أسنانِهِ. هنالك فتاةٌ جميلةٌ في النزل، يجبُ أن تتأكّدَ أنها الوحيدةُ التي ستخدمُنا على العشاء».

ـ «ماذا؟»

ـ «سأترُك هذا الأمر لك».

عندما دخلنا النزلَ كان وجهي كلُّهُ مُغطّى إلا عينيّ. ذهبَ فريتز ليأمُرَ بتحضير الغرفةِ وليبحثَ عن الفتاة. وما هي إلا دقائق حتى عاد قائلاً:

ـ «إنها آتية».

عندما جاءت كانت تحمل النبيذ معها فوضعتهُ على الطاولة وملأت لي كأساً، قدّمته إليّ وهي تسألني:

ـ «هل يشعرُ سيدي بألم شديد؟»

ـ «أنا أفضل مما كنتُ عليه يومَ رأيتُك آخرَ مرةٍ». قلتُ هذا وكشفتُ عن وجهي.

فأطلقَت صيحة ذعرٍ وقالت:

ـ «إذاً أنت الملك! لقد قلتُ لأمي هذا لحظةَ رأيتُ صورتَكَ. أرجوكَ سامحني يا سيدي!»

ـ «أنتِ لم تفعلي شيئاً».

ـ «ولكن الأشياء التي قيلت!»

ـ «سأسامُحكِ لو أنكِ خدمتِ الملك».

ـ «شكراً لك يا سيدي. سأذهبُ لأخبرَ أمي».

فقلت بحزم: «لا، لسنا هنا الليلة للتسلية. اذهبي الآن وأحضري العشاء، وإياك أن تنبسي بكلمةٍ عن وجودِ الملك هنا».

ذهبت الفتاةُ وعادت بعد قليل فسألتها وأنا أهمُّ بتناولِ عشائي:

ـ «كيف حال جوان؟»

ـ «آه، ذلك الرجل يا سيدي ـ عفواً أقصدُ يا صاحب الجلالة».

ـ «نادني بسيد. ولكن أخبريني كيف جوان؟»

ـ «أنا لا أراه كثيراً هذه الأيام يا سيدي».

ـ «ولماذا؟»

فقالت وهي تميل برأسِها: «لقد قلتُ له ألّا يأتي كثيراً إلى هنا».

ـ «فهمت. ولكنك تستطيعين أن تطلبي منه المجيءَ لو أردت».

ـ «ربما يا سيدي. لكنهُ مشغولٌ كثيراً هذه الأيام في القصر».

فقلتُ لها: «لكنهمْ لا يقاتلونَ ولا يصطادون هذه الأيام».

ـ «إنَّهُ مثقلٌ بالأعباءِ داخلَ القصر».

ضحكتُ قائلاً: «هل تَحَوَّلَ جوان إلى خادمة؟»

ـ «ليس لديهِمْ خادمةٌ في القصر. هكذا يقولون ولعلّهُ ليسَ صحيحاً».

ـ «لكن بمقدور جوان أن يجدَ مُتَّسَعاً من الوقتِ للقائكِ لو طلبت منه هذا».

فردَّت: «هذا يتوقفُ على الوقتِ والمكانِ يا سيدي».

ـ «أتحبينَهُ؟»

ـ «كلا يا سيدي، لكنني أريدُ أن أخدمَ جلالتك».

ـ «حسناً، أخبريه أن يلاقيَكِ عند الصَّوَّةِ الثانية خارج زندا غداً في العاشرةِ ليلاً».

فسألتني بقلق: «لن تؤذيَهُ يا سيدي، أليس كذلك؟»

قلتُ بحزم: «ما دام سيقومُ بما سآمُرُهُ به فلن أؤذيَهُ. والآن اذهبي واحرصي ألّا يُعْلِمَ أحداً أنني كنت هنا».

فرغنا من طعامنا، ثم غادرنا المكان.

سألني فريتز عندما أصبحنا خارجَ البلدة: «هل ستُلقي القبضَ على جوان؟»

ـ «أجل».

ما إن وصلنا الطريقَ المُؤدِّيَة إلى قصرِ ترلنهايم حتى هرعَ سابت إلى لقائنا قائلاً:

ـ «حمداً لله على سلامتِكَ. هل التقيتَ بأحَدهم؟»

ـ «من هُمْ؟»

فقال بِجِدِّيَّة: «يجبُ ألّا تخرُجَ أبداً إلّا بحماية ستةِ رجالٍ. أتذْكُرُ برنيستون الشابَّ الطويلَ الذي كانَ يقومُ بحمايَتِكَ؟»

ـ «أذكُرُهُ جيداً، إنه بطولي تقريباً، شابٌّ لطيفٌ وشجاع».

فقال سابت: «إنهُ يرقُدُ الآن في غرفتهِ بعد أن أُصيبتْ ذراعُهُ برصاصة».

ـ «ماذا؟»

خرجَ برنيستون بعد العشاء للتمشي في الغابةِ، فانتبَهَ لوجودِ ثلاثةِ

أشخاصٍ بين الأشجارِ أحدُهُمْ يُصَوِّبُ بندقيتَهُ نحوَهُ. وبما أنهُ كانَ أعزلَ فإنَّهُ بدأ بالركضِ باتجاهِ المنزل محاولاً الهربَ منهُمْ. لكنهُمْ أطلقوا النارَ عليهِ وأصابوه. ومن حُسنِ حظ برنيستون أنَّهُ وصلَ إلى هنا قبلَ أن يُغمَى عليه بينما هَرَبَ المُعتدون.

سكت سابت للحظات ثم تابع قائلاً: «أتدري، لقد كُنْتَ أنت المقصودَ بتلك الرصاصة».

فقلت: «على الأرجح، لكنني أودُّ قبلَ مغادرةِ رورتيانيا أن أقومَ بشيءٍ واحدٍ ردّاً على الحفاوة التي استُقبلتُ بها هنا».

ـ «ما هو هذا الشيء؟»

ـ «أن أقتلَ كل رجالِ ميشال الأسود الستةِ فأُطهِّرَ البلاد منهم».

☆☆☆

في صباحِ اليومِ التالي كنتُ أجلسُ في الحديقةِ الأماميةِ للبيتِ وأشعرُ براحةٍ لم أعرفْها منذُ زمن. لقدْ كنتُ على الأقلّ أتحركُ، أقومُ بشيءٍ ما، ورغمَ أنَّهُ لم يكنْ علاجاً للمسألةِ فإنهُ على الأقلّ كانَ مُسَكّناً.

فجأةً ظهرَ روبرت هنتزو بين الأشجار ممتطياً جوادَهُ وكأنَهُ يسيرُ في منتزهٍ عامّ، غيرَ آبهٍ بالخطرِ الذي قد يلحَقُهُ من رجالي. استأذنَ روبرت لمقابلتي على انفرادٍ لأنَّهُ كانَ يحملُ لي رسالةً من دوق سترالسو.

وبعدما خرج الجميعُ قال روبرت: «يا رزيدانتيل، إن الدوق..».

فهببت واقفاً وقلت: «أتودُّ أن أطلبَ من أحدهِمْ أن يجلبَ لك حصانَكَ؟»

ـ «ولكن لماذا التظاهر؟»

ـ «لأن اللعبةَ لم تنتهِ بعد وخلال ذلك أنا الذي أختارُ اسمي».

ـ «حسناً يا سيدي، ولكنني قلتُ هذا من أجلِكَ فأنا أحترمُكَ وأقدِّرُك، فأنت تعلمُ بأنكَ تشبهُني إلى حدٍّ ما».

ـ «شكراً، غير أنني صادقٌ مخلصٌ أحفظُ العهدَ مع الرجالِ، شريفٌ مع النساء».

نظرَ إليّ روبرت حانقاً فقلت له: «الرسالة؟»

ـ «إن الدوقَ يعرضُ عليك جوازَ مرورٍ تعبرُ به الحدود بالإضافة إلى مئة ألفِ جنيه».

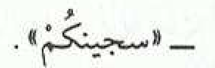
ـ «إنني بالطبعِ أرفضُ».

فابتسم قائلاً: «لقد قلتُ لميشال إنّك حتماً سترفض. فالفرقُ بيني وبين ميشال أنهُ لا يفهمُ السيدَ المحترم».

ضحكت وقلت: «وأنت؟»

ـ «أنا أفهمُهُ جيداً. فأنتَ تفضِّلُ الموتَ على عرض ميشال وهذا ما ستنالُهُ».

قلت بأدبٍ: «آسفُ لأنك لن تكونَ حيّاً لترى ذلك. ولكن كيف حالُ سجينكُمْ؟»



ـ «الـ . . ؟»

ـ «سجينكُمْ».

ـ «أوه، لقد نسيتُ ما تتمناهُ يا سيدي. إنهُ ما زال حيّاً». ثم سألني باستهزاء: «كيف علاقتُكَ الغرامية مع الأميرة؟»

فقلت بصوتٍ هادرٍ غاضب وأنا أتقدّمُ نحوهُ محاولاً تهديدَهُ: «أُنجُ بنفسِكَ».

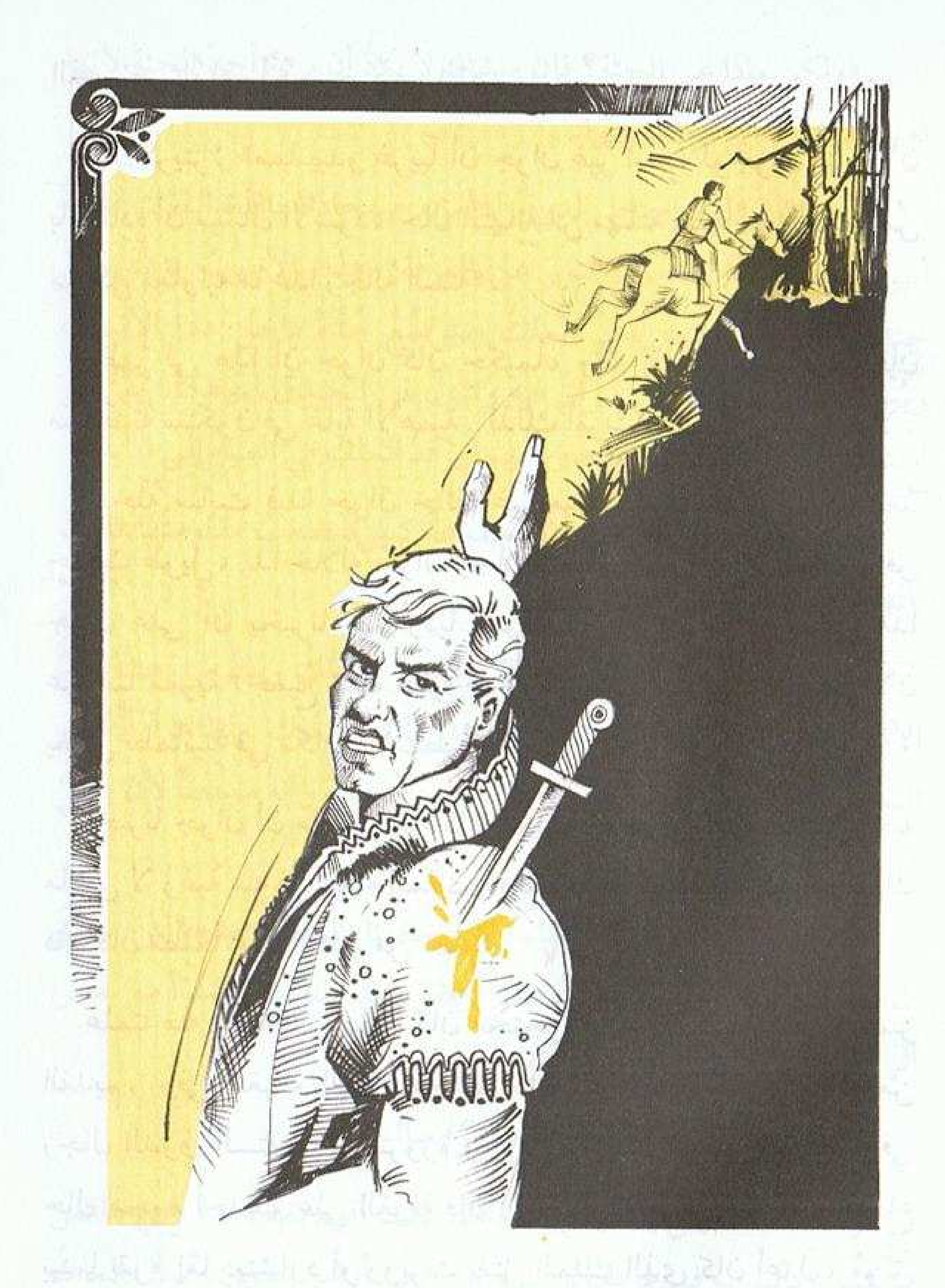
فطلبَ روبرت من أحدِ الخدمِ أن يجلِبَ له حصانَهُ وبينما كانَ يَهمُّ بامتطائِهِ التفتَ نحوي ومدَّ يده اليمنى بينما بقيتْ يدُهُ اليُسرى على حزامِهِ وقال:

ـ «فلنتصافح».

انحنيتُ واضعاً يدي خلفَ ظهري، ولكنَّهُ، وأسرعَ مما تصورتُ، قذفني بخنجرٍ أصابني بكتفي، ولو أنني لم أقمْ بحركة مفاجئةٍ لكانت الإصابةُ في قلبي. تراجعت بضعَ خطواتٍ وأنا أصرخُ ثم ارتميتُ على كرسيٍّ مُضرَّجاً بدمائي.

قفزَ روبرت على جوادِهِ واختفى كالسهم تلحقُهُ الصرخاتُ والطلقاتُ الصادرةُ عن رجالي، ولكنها ضاعت كلُّها سدىً حتى فقدتُ الوعي.

كان الظلامُ مُخَيِّماً عندما استيقظتُ ووجدتُ فريتز بجانبي. كنت أشعر بضعفٍ شديد لكنني خرجتُ عندما أخبرني فريتز بأن الجرحَ لم يكنْ خطيراً وسيشفى قريباً. ثم أخبرني أن جوان قد وقعَ في الشركِ



وأسرع مما تصوّرت قذفني بخنجراً أصابني بكتفي

الذي نصبناهُ له وأنَّهُ موجودٌ في القصر.

قال فريتز: «مما يبدو غريباً أن جوان غيرُ آسفٍ لوجوده هنا، لأن باعتقادِهِ أن ميشال الأسود، حالَ انتهائِهِ من مهمَّتِهِ ونجاحِهِ، سيتخلّصُ من كل معاونيه ما عدا رجالهُ الستة».

أظهرَ لي هذا أن جوان كان حكيماً، وأنه إذا قام بمساعدتِنا فإن مساعَدَتَهُ ستكونُ في غايةِ الأهميةِ. لذلك أمرتُ بأن يمثُلَ أمامي حالاً.

أدخلَهُ سابت فبدا جوان خائفاً غيرَ مستعدٍّ لمساعدتنا. لكنه بعدَ حديثٍ طويلٍ، بدا خلالَهُ جوان رجلاً ضعيفاً وليس رجلاً سيئاً، وافق جوان على أن يخبرنا بما أردنا معرفتَهُ. ولقد قدّمنا له مقابل هذا عروضاً مغرية (جميعُ تلك العروضِ والوعودِ وفَيْنا بها حتى أنَّهُ الآنَ يعيشُ بطمأنينةٍ في مكانٍ لا أستطيعُ ذِكْرَه).

أخبرنا جوان أن ما ظهرَ منهُ كان بسببِ خوفِهِ من الدوق ومن أخيه ماكس لا رغبةً منه في إيذاء الملك. ولقد منحَهُ سيدُهُ ثقةً كبيرة ولذلك فقد كان مُطَّلِعاً على الكثير من خططِهِ.

علمنا منه أيضاً أن الملك كان محتجزاً في غرفةٍ صغيرةٍ في القصر القديم. وفي الغرفةِ الملاصقةِ لها كان يتواجَدُ باستمرار ثلاثةٌ من رجال الدوقِ الستة، مع ضرورة وجود إما ديتشارد أو روبرت. وفي حال هجومِ أحدهم على الغرفةِ فإن اثنين من الحراس يقومان بالدفاع بينما يقوم إمّا ديتشارد أو روبرت بقتل الملكِ الذي كان أعزلَ، مُوثَقَ اليدين بسلاسلَ فولاذيةٍ تعوق تحركَهُ. وهكذا فإنَ الملك سيكونُ مَقْضِياً عليه قبل الاستيلاء على الغرفة الخارجية.

ـ «ولكن ماذا عن الجثة؟ فإن ميشال لا يودُّ أن يرى أحدٌ الجثةَ لأنها تعني الكثير له». سألتُ جوان.

ردّ جوان: «لقد احتاط الدوقُ للأمر، فبمحاذاة نافذة الملك فتحةُ أنبوبٍ كبيرٍ جدًّا يحجبُ النورَ عن الغرفة. هذا الأنبوبُ يؤدي إلى خندقٍ مائي. وعندما يُقْتَلُ الملكُ ستوضَعُ جُثَّتُهُ داخل هذا الأنبوب ويُعملُ على دفعِها حتى تنزلِقَ فيه وتنزلَ في الخندق. وهكذا يَفِرُّ مَن استطاع عبرَ الخندقِ فيسبحُ هارباً بينما يرقُدُ الملك في المياهِ إلى الأبد».

سألتُ جوان: «لنفترض أن مجموعةً كبيرة يصعبُ مقاومتُها قامتْ بالهجومِ، فما الذي يحصل؟»

ـ «لن تكونَ هنالكَ أيةُ مقاومة، سيقتَلُ الملكُ وستُرمى جثتُهُ عبرَ الأنبوب، وأحدُ رفاقِ ميشال سيأخذُ مكانَ الملكِ متظاهراً أنَّهُ هو السجين. وسيعلن ميشال أن هذا السجين أغضبَهُ وأنه مستعدٌّ لأن يعفيَ عنه إذا اعتذرَ منهُ».

نظرنا، سابت وفريتز وأنا، إلى بعضنا البعض مذهولين بتلك الخطة الماكرة. فسواءً ذهبتُ علناً برفقةِ فرقةٍ مسلّحةٍ أم سرّاً مع بعض الرجالِ فإن مصيرَ الملك سيكونُ الموت.

ـ «هل يعلمُ الملك بخطةِ الدوق؟» سألت جوان.

فردّ قائلاً: «أجل يا سيدي. فعندما كنت أقومُ بمساعدة أخي ماكس بتركيب الأنبوبِ في غرفةِ الملك، بناءً على أوامرِ الدوق، سأل الملكُ روبرت هنتزو عن الغايةِ من تركيب الأنبوب فردَّ روبرت أنه يشبهُ سُلَّم

يعقوب. والمعروف أن سلّمَ يعقوب سلّمٌ وهميّ يوصلُ لِلجَنَّة. قال ساعتها روبرت إنهُ ليسَ من اللياقةِ أن يذهبَ الملكُ إلى الجنة من الطريق العادي».

فقلت: «حسناً يا جوان، إذا سألك أحدُهُم عن وجود سجينٍ في زندا ليكنْ ردُّكَ بالإيجاب، ولكن امتنعْ عن ذكر اسمه. واعلم أنني سأقتلُكَ إذا أفشيت اسمَ السجين الحقيقي».

ما إن ذهب جوان حتى قلت لسابت: «يبدو أنه لا يوجد سوى طريقتين وحيدتين لإنقاذ الملك. الأولى بالخيانة والثانية بالمعجزة».

٩ ـ سلم يعقوب

لَكَمْ ستكونُ دهشةُ أهالي رورتانيا عظيمةً لو علموا بكل ما يدورُ معنا. لكنه بناءً للتقارير الرسمية فلقد أُعلِنَ أنني قد جُرحتُ بحادثٍ عَرَضِيٍّ وأنا أصطاد أحد الخنازير.

ولقد حرصتُ أن يأخذَ الإعلانُ عن إصابتي أهميةً لكي أثير حماسة الجماهير. وكان غرضي من ذلك أن يظن ميشال أن إصابتي خطيرةٌ وأنني عاجزٌ حاليًا عن القيام بأي تحركٍ ضدَّهُ. وقد علمتُ من جوان أنه صَدَّقَ ذلك فعلاً. ولكن ترتَّبَ على هذا أمران: أحَدُهُما قدوم الأطباءِ من سترالسو للسؤال عني وبالطبع رفضت مُلاقاتَهم. وثانيهما ما بَعَثَتْ لي به الأميرة فلاڤيا من أنها ستخالفُ أوامري وتغادرُ سترالسو قادمةً إلى زندا.

كان مجيء فلاڤيا إلى سترالسو ووجودُها بقربي كَطَعْمِ الجنةِ بالنسبةِ للمجرمِ الذي سيلاقي حتفهُ بين يومٍ وآخر.

كان عليّ وسابت أن نتخِذَ قراراً سريعاً ونخاطرَ بالهجوم لإنقاذِ الملك عندما علمنا من جوان أن الملكَ يزدادُ في أَسْرِهِ مرضاً وهزلاً يوماً بعدَ يوم. فأيُّ رجلٍ، سواءَ كان ملكاً أو لم يكن، يفضِّلُ ألف مرةٍ أن يموت مقتولاً برصاصةٍ أو خنجر على أن يضيعَ عمرَهُ ويذوي بين جدران أربعة. هذه الأفكار التي راودتنا أظهرتْ لنا أنهُ يجب الإسراع باتخاذِ موقف.

ولقد رجاني المارشال أن أُسْرِعَ باتخاذ الإجراءاتِ اللازمة من أجلِ زواجي من الأميرة. ولَكَمْ تأثرتُ بذلك، فكلما طال الوقتُ الذي قضيته بقرب الأميرةِ زادَ تعلُّقي بها حتى ملكتْ عليّ نفسي.

أخبرني سابت فيما بعد أن تصرفي في تلك الفترة كان استبداديًا. فلم أكنْ أسمحُ بأي تدخّلٍ من أحد، ولم أستمعْ لأية نصيحة. لقد كنت كمنْ فَقَدَ كل مباهج الحياة فحملَ روحَهُ باستهتارٍ على كَفِّهِ غيرَ عابىء بفقدانِها.

في الليلة التي تلت يوم اتخاذِ القرار، خرجنا سابت وفريتز وأنا بصحبة ستةِ رجالٍ وانطلقنا سرّاً إلى قصر زندا. كان سابت يحملُ حبلاً بينما حملتُ عصا غليظةً وخنجراً. وبحذر شديدٍ تقدّمنا حتى أصبحنا نبعدُ حوالى الربع ميل عن القصر القديم. كانت الليلةُ حالكةَ السوادِ عاصفةً، وهذا الطقسُ كان ملائماً جدًا لخطتي المرسومة. اختبأ الرجالُ الستة وجيادُهم وراءَ الأشجارِ، مستعدّين لتلقّي أوامرِ سابت

الذي كان يحملُ صَفّارةً يدعوهم بواسطتِها في حال اضطراره لذلك.

ولم نلحظ في طريقنا وجودَ أحدٍ منهُمْ مما أكّد لنا أن ميشال كان يظنُّ أنني لا زلتُ طريحَ الفراش.

وعندما وصلنا نحن الثلاثة إلى حافّة الخندقِ ربطَ سابت الحبلَ إلى أحدِ الأشجارِ، فخلعتُ حذائي ووضعتُ العصا التي معي بين أسناني والخنجرَ في حزامي وقفزتُ في الماء، فقد كنتُ أنوي إلقاء نظرةٍ على سلّمِ يعقوب.

ببطءٍ وبحذرٍ شديد سبحتُ بمحاذاةِ الحائط، ولقد كانت الأنوار تشعُّ من قاعاتِ القصر الجديدِ وتنطلقُ معها الضحكاتُ وصيحاتُ الفرحِ، فأيقنتُ أن روبرت يُمضي وقتاً طيباً.

ما إن وصلتُ إلى الأنبوب حتى تَسَمَّرْتُ في مكاني، فلقد لمحتُ مقدمةَ مركب بالقربِ من الجانبِ الآخرِ للأنبوب.

تُرى من هو حارس هذا المركب؟ أهو نائمٌ أم صاحٍ؟ ترامتْ هذه الأسئلة إلى ذهني وأنا أقف فوق بعض الصخور التي كانت في قعر الخندق بحيث بقي رأسي وكتفيّ فوق الماء. زحفتُ بحذرٍ حتى وصلتُ إلى الأنبوب وتطلعتُ حولي.

كان في القاربِ رَجُلٌ ساكن الحركة يضع بقربه بندقيةً، حاولت الاستماع إلى صوتِ تنفّسه فإذا به بطيءٌ منتظم. شكرتُ الله لأنه كان نائماً وتابعتُ زحفي بين الأنبوب والحائط حتى أصبح لا يفصلني عنه سوى قدمين. كان الرجل ضخماً، فعرفت للحال أنهُ ماكس شقيق

جوان. تناولت السكينَ من حزامي واقتربتُ منهُ قدرَ الإمكانِ مستعدًا للانقضاض عليه.

لَكَمْ أمقُتُ أن أتذكَّر تلك اللحظة، لكنني ساعتها قلت لنفسي: «إنها حرب، وحياةُ الملك في خطر». ثم طعنته في صدره، ولحسن حظي أنه لم يصرخْ بل ماتَ على الفور.

تركتُ ماكس واتجهتُ نحو سُلّم يعقوب. لقد كان وقتي قصيراً، فمن الطبيعي أن يأتي بعد قليل حارسٌ جديدٌ ليتناوب مع ماكس الحراسة. تفحّصتُ الأنبوبَ من جميع جوانبهِ فلم أجدْ به أيةَ فتحة، غير أنني لاحظت شعاعاً من نورٍ ينبعثُ من جزئه الأسفل، الجزء الذي يغطي النافذة، كما أنني سمعتُ ديتشارد يتحدث إلى الملك:

ـ «أتريد شيئاً يا سيدي قبلَ أن أذهبَ الليلة؟»

ردّ الملكُ بصوتٍ ضعيف: «أريدُ من أخي أن يقتلني على أن أموت ببطءٍ هكذا».

فقال ديتشارد هازئاً: «إن الدوق لا يريدُك أن تموتَ الآن، وعندما يحينُ ذلك فهذا هو طريقُك إلى الجنة».

اختفى الضوءُ وسمعتُ صوتَ بابٍ يُقفل. لم أستطعْ التحدثَ إلى الملك خوفاً من أن تَصْدُرَ عنه علامةُ تعجّبٍ فيفضحُ أمري.

عدت إلى القارب لأتخلّصَ من جثةِ ماكس. كانت العاصفةُ تهبُّ بعنف الآن مما ساعدني على التجذيف بسرعةٍ أكبر.

ما إن وصلتُ إلى الشجرةِ حتى سمعتُ دويَّ صفارةٍ وأحدَهم ينادي من الخندق:

ــ «مرحباً يا ماكس».

فقلت لسابت: «هيا أسْرِعْ». ثم ربطتُ الحبل حولَ الجثةِ وسحبتُها من القاربِ وقلت: «صفّر الآن لرجالنا».

انطلقتْ صفارةُ سابت ففوجئنا بثلاثةِ رجال قادمين من قصرِ زندا على جيادهم، فاختبأنا حتى لا يتمكّنوا من رؤيتنا.

قالَ أحدُ الرجالِ الثلاثةِ وعرفتُ من صوتِهِ أنهُ روبرت:

ــ «ما هذه العتمةُ الحالكة؟»

وما هي إلا لحظات حتى بدأت الطلقات تُدَوِّي من كلِّ صَوْبٍ، فلقد التقى رجالُنا برجال ميشال.

أسرعنا للانضمام إلى القتال فاتضح لنا من صوت صيحات الألم التي علتْ أن واحداً على الأقل قد أُصيب. وفجأةً انقضَّ عليَّ جوادٌ فما كان مني إلا أن قفزتُ عليه صارخاً:

ــ «أخيراً يا روبرت!»

بدا لي أنني تمكّنتُ منه أخيراً لأنه لم يحملْ غير سيفٍ في يده. وقف رجالي وراءه بينما كان سابت وفريتز لا يبعدان عنه كثيراً.

ــ «إنهُ الممثل!» صرخَ روبرت وهو يقطع بسيفه العصا التي حملتُها إلى نصفين.

ما إن ابتعدتُ عنه لأتفادى ضرباتِ سيفه حتى قفز بجوادِهِ في الخندقِ يتبعُهُ رصاصُ رجالي. ولو أرسلَ القمرُ ليلتها شعاعاً واحداً لَكُنّا قضينا عليه، لكن العتمةَ الحالكة منعتنا من ذلك ففرَّ هارباً.

ــ «ماذا حصل؟» سألتُ رجالي.

ــ «لقد قُتل لونغرام وكرافستين».

ــ «وقتلتُ ماكس أيضاً».

رمينا جثثَ القتلى في الخندق وتبيّنَ لنا أن ثلاثةً من رجالي لقوا حَتْفَهُمْ أيضاً فحملنا جثثَهُمْ وعُدْنا أدراجنا.

رجعت حزيناً على مقتلِ أصدقائي، مشغولَ الفكرِ على الملكِ، منزعجاً من النصر الثاني الذي حقّقَهُ روبرت عليّ.

لمّا كانَ من المستحيلِ أن نكتُمَ خبرَ مقتلِ العديد من رجالي ورجال ميشال، فلقد أصدرتُ أوامرَ صارمةً أمنعُ فيها المبارزة. ثم أرسلتُ اعتذاراً علنيّاً لميشال الذي أرسلَ لي عُذراً بدوره. فنقطةُ الالتقاءِ الوحيدة بيننا هي أن كلينا لا يستطيع قولَ الحقيقة. لكن هذه السريّةَ، ولسوءِ الحظ، تعني التأخير، وهذا التأخيرُ قد يؤدي إلى موتِ الملكِ في سِجْنٍ أو نقلِهِ إلى مكانٍ آخر.

لعلَّ أهمَّ الأسبابِ التي اضطرّتني إلى إظهارِ صداقتي لميشال أمامَ العامةِ هي أن مدينةَ زندا كانت نقطةَ التقاءٍ للكثير من الناس في وضح النهار. غيرَ أنّ الأمرَ كان يختلفُ ليلاً. فبينما كنتُ أتنزّهُ مع فلافيا وسابت في أحد الأيامِ، التقانا رئيسُ شرطةِ سترالسو فقال:

— «لقد نفَّذتُ تعليماتُك بمنعِ المبارزةِ بدقَّةٍ يا مولاي».

— «ألهذا قَدِمْتَ إلى زندا؟» سألتُ رئيسَ الشرطةِ وكأنني أقولُ له عُدْ حالاً إلى سترالسو، لأن وجودَهُ قد يُسَبِّبُ بعضَ المتاعب.

— «كلا يا سيدي، أنا هنا بطلبٍ من السفير البريطاني».

فقلتُ غيرَ مبالٍ محاولاً إخفاءَ قلقي: «وماذا يريدُ السفير؟»

— «لقد فُقِدَ شابٌ إنكليزي ذو مكانةٍ سامية، وانقطعتْ أخبارُهُ منذُ شهرين، ولسببٍ ما يظنّ أصدقاؤه أنه موجودٌ هنا في زندا».

لم تكترث فلافيا للأمر ولم أجرؤ على التطلع إلى سابت فسألتُ: «وما هو السبب؟»

— «لقد ذكرَ لنا أحدُ أصدقائِهِ في باريس أنهُ وَدَّعَهُ حتى القطارِ المسافر إلى هنا، كما تذكَّرَ موظفُ سكة الحديدِ أن اسمَهُ قد مرَّ معه».

— «وما هو اسمه؟»

— «رزيدانتيل يا سيدي. يُقالُ إنهُ لَحِقَ بسيدةٍ أتت إلى هنا، أظنُّ أنها مدام دو موبان، لأنها وصلت إلى رورتيانيا في نفس التاريخ الذي وصل فيه رزيدانتيل».

— «أهذا افتراض؟» سألت رئيس الشرطة.

— «لنفترض أنهُ لحق بهذه السيدة لحبِّهِ بها، فما الذي قطعَ أخبارَهُ لمدة شهرين؟» قال ذلك وتطلّع إلى القصر.

فقلت بهدوء: «أجل إن السيدة دو موبان في قصرِ زندا، لكنني لا

أظنُّ أن ذلك الرجلَ ـ رزيدانتيل، أليس كذلك؟ ـ موجودٌ معها أيضاً».

— «إن الدوقَ لا يحبُّ منافسيه يا مولاي».

— «إنك تفترضُ اتهاماً خطيراً، ولذلك من الأفضلِ أن تعودَ إلى سترالسو...»

— «إلى سترالسو؟ ولكن هنا يجبُ».

— «عدْ إلى سترالسو وأخبِرِ السفير بأنك حصلتَ على بعض المعلوماتِ وأنكَ سَتُخْبِرُهُ بما ستسفِرُ عنهُ تحقيقاتُك خلال أسبوع».

— «لكن السفيرَ يلحُّ عليّ يا سيدي».

— «يجبُ أن تُهَدِّىء من روعِهِ، وخلالَ هذا الوقت سأنظرُ في المسألةِ بنفسي».

وعدني رئيس الشرطةِ بأن يفعَلَ ما أمرتُهُ به، وبمغادرةِ زندا في نفس الليلة. فيجبُ أن يتوقفَ البحثُ بجميعِ الأحوالِ لأسبوعٍ أو اثنين، وأظنُّ أن هذا الموظَّفَ الذكيّ قد خطا أولى خطواتِهِ نحو الحقيقة.

١٠ ـ الخطة الخطيرة

التقينا في طريق العودةِ إلى ترلنهايم بموكبٍ قادم من قصر زندا. تقدّمَ الموكبَ خادمانِ بالزيِّ الرسمي وتبعتهما عربةٌ تحملُ تابوتاً مشى وراءها رجل متَّشحٌ بالسواد.

— «إنه روبرت». همسَ لي سابت.

ما إن رآنا روبرت حتى تقدّم نحونا وانحنى باحترام.

فسألتُهُ: «من الميت؟»

فردّ بأسىً: «إنه صديقي لونغرام».

ـ «هل لقيَ المسكينُ مصرعَهُ أثناءَ المبارزة؟» سألتْ فلاڤيا.

ـ «أجل. لَكَمْ أنا آسفٌ لما حصلَ له، ولكن هناك آخرون سيرقدون كما يرقُدُ هو الآن».

فقلت: «هذا صحيحٌ، يجبُ أن نتذكر هذا جميعاً».

ردّ روبرت بجرأةٍ قبل أن يتركنا: «حتى الملوكُ يا سيدي».

لحقتُ بروبرت فالتفتَ نحوي بسرعةٍ خوفاً من أن أؤذيَه أمام عَيْنَي الأميرة فقلتُ له:

ـ «لقد حاربتَ بشجاعةٍ تلكَ الليلة، وها أنذا أُقْسِمُ لك بأنني لن أُلحقَ بك أيّ ضررٍ لو سلّمتني سجينَك حيًّا».

نظرَ إليّ روبرت وهو يبتسمُ باستهزاء وقال: «لقد رفضتَ عرضَ ميشال الأسود وأنا الآن بدوري أرفضُ عرضَك. اِقْتَحِم القصرَ بشجاعة وليساعدْك سابت وترلنهايم».

فقلت: «هيا اذهب».

ـ «حدِّد الوقتَ معي».

فقلت له: «لي ملءُ الثقةِ فيك يا سيدي».

ـ «إنني الآن أتكلمُ بجدّيةٍ. سابت وفريتز سيهزمان، كذلك ميشال الأسود...»

ـ «ماذا؟»

ـ «سيقعُ ميشال الأسود كالكلب، وسجيننا كما تدعوه سينزلق عبر سُلَّمِ يعقوب. آه، إنك تعرفُ هذا! ولن يبقى سوى اثنين، أنا روبرت هنتزو وأنت ملكُ رورتيانيا».

توقّف عن الكلام ثم تابع بصوت مرتجفٍ لشدّةِ لهفتِهِ:

ـ «ألا تستحقُّ هذهِ الخطةُ التجربةَ، فأنت تحصلُ على العرشِ والأميرة، بينما أنالُ أنا مركزاً مرموقاً وعرفانَ سُمُوِّكَ بجميلي؟»

ـ «بالطبع، فأنت إبليسٌ آخر».

ـ «حسناً، فكّر بالأمر مليّا».

ـ «ابتعدْ عن طريقي». قلت حانقاً ومستغرباً وقاحة هذا الرجل ثم سألتُهُ: «أتنقلبُ على سيدك؟»

ـ «إنه يقفُ في طريقي، فهو أحمقٌ يَغيرُ مني، ولقد كدتُ أقضي عليهِ بسكينٍ ليلة أمس».

كنتُ قد بدأتُ أفهمُ شيئاً فسألتُهُ: «أَمِنْ أَجْلِ سيدة؟»

ـ «أَجَلْ، سيدةٌ جميلة. لكنك رأيتَها».

فقلت: «آه، مدام دو موبان؟»

ـ «أجل، لكنها تفضل ميشال الأحمق عليّ. فكّرْ بعرضي جيداً».

قال هذا ولحق بموكبه بينما لحقتُ بفلافيا عائداً إلى البيت وأنا أفكّرُ بمدى مَكْرِ الرجال. ولعلَّ روبرت أمكرُ مَنْ رأيت.

ما إن وصلتُ إلى قصرِ ترلنهايم حتى قَدَّمَ لي أحدُ الخدمِ ورقة فَتَحْتُها وقرأت:

«لقد حذّرتُكَ مرةً، أستحلفُكَ بالله إن كنتَ رجلاً بِحقٍّ أن تخلّصَني من هذا البيت المليءِ بالقَتَلة!

أ. دو موبان»

أعطيتُ الورقة لسابت ليقرأها فقال: «ما الذي أتى بها إلى هنا؟»

برغمِ أسفي لوضعِ تلك السيدةِ فلقد كنتُ عاجزاً عن مساعدتِها كعجزي عن مساعدةِ الملك.

سرعان ما تعقّدتِ الأمورُ، فبالإضافةِ إلى تحقيقات الشرطةِ حولَ اختفائي فلقد نشأ شيءٌ جديد. لقد بدأ الناسُ في سترالسو يتهامسون حولَ غيابي، ولقد قدمَ المارشال ستراكنز بصحبةِ رئيسِ الوزراءِ خصيصاً إلى زندا لأُعيّنَ لهم موعد حفلِ الخطوبةِ الذي لا يقلُّ أهميةً في رورتيانيا عن احتفالِ العرس. وبما أن فلافيا كانت تجلس بجانبي فلقد اضطررتُ إلى تعيين الموعد بعد أسبوعين. هنا لاقى هذا الخبرُ ترحيباً كبيراً في كل أنحاءِ المملكةِ ولم يضايق سوى اثنين هما ميشال وأنا. أما الوحيدُ الذي لم يسمعِ الخبر فهو الملك.

علمنا من جوان أن الملكَ مريضٌ جدًا حتى أنهُ لا يقوى لضعفه على

الحراك. ولقد جلبوا لمعاينتهِ طبيباً ذُهِلَ لمّا رآهُ فاحتجزوه في الغرفةِ نفسها مع الملك.

كانت أنطوانيت دو موبان تقومُ بتمريضِ الملكِ الذي كان واضحاً أن حياتَهُ في خطرٍ محدق في الوقت الذي كنت فيه أنا قويًّا سليمَ الجسم، حُرًّا.

ـ «كيف يحرسونَهُ الآن؟» سألتُ جوان.

ـ «يقوم ديتشارد وبرنيستون بحراستِهِ ليلاً بينما يحرسُهُ روبرت ودو غوتيه في النهار، لكنَّ الدوق لا يسمحُ لروبرت بالبقاء هناك عندما تكونُ أنطوانيت مع الملك».

رجانا جوان أن نسمح له بالبقاء في ترلنهايم، لكننا أعطيناه مزيداً من المال وأقنعناه بالعودةِ إلى قصرِ زندا لِيُخْبِرَ أنطوانيت بأننا نفعلُ كلَّ ما بوسعنا لمساعدتِها ولتخبرَ هي ـ إن استطاعت ـ الملكَ بذلك فتبعثُ في نفسهِ بعضَ الطمأنينةِ والراحةِ، فلا شيء يسيء إلى المريضِ أكثرَ من اليأس.

عرفنا من جوان أين ينامُ كلُّ شخصٍ في القصر. فاثنان من الستةِ الذين أصبحوا الآن أربعة واللذان لا يقومان بحراسةِ الملكِ ينامان في الغرفةِ التي فوق غرفةِ الملكِ والتي يمكنُ الوصولُ إليها عن طريق بضعِ درجاتٍ من الغرفة الرئيسية. أما غرفةُ ميشال فقد كانت في الطابَقِ الأولِ من القصرِ الجديد، كذلك غرفة أنطوانيت دو موبان. وكان الدوق يقفلُ عليها بابَ الغرفة بعد أن تدخلها ـ أدركتُ سبب ذلك بعد حديثي مع روبرت ـ أما الجسرُ المتحركُ فقد كانَ يُتْرَكُ مقفلاً

ليلاً ومفتاحهُ مع ميشال وحدَهُ.

ـ «وأين تنامُ أنت يا جوان؟»

ـ «في مدخل قاعةِ القصرِ الجديدِ مع باقي الخدمِ يا سيدي».

فقلت: «اسمعْ يا جوان، لقد وعدتُك بعشرين ألفِ كراون لكنني سأعطيك خمسين ألفاً إذا ما نَفَّذْتَ ما سأطلبُهُ منك غداً ليلاً. ففي الساعةِ الثانية صباحاً يجبُ أن تفتح الباب الخارجي. ادَّعِ أنك بحاجةٍ لهواءٍ نقيّ أو أيّ شيءٍ آخر ولا تتأخر لحظة واحدة عن الساعة الثانية».

ـ «هل ستكونُ هناك يا سيدي؟»

ـ «لا تسألني أي شيء. هذا كلُّ ما أريدُ أن تقوم به».

فسألني: «هل أقدرُ أن أهربَ ساعةَ أفتحُ الباب؟»

ـ «أجل، وبأقصى سرعة. ولكن هناك شيئًا آخر: سَلِّمْ هذه الورقة إلى السيدة دو موبان وقل لها إن حياتنا جميعاً تتوقفُ على ما ستقوم بما نطلبُهُ منها».

كان جوان مرتجفاً، لكنني كنتُ مضطرّاً أن أثقَ به وبشجاعتهِ وبأمانتهِ. وبعد أن فشلت محاولتي في سُلَّمِ يعقوب كان يجبُ عليّ أن أحاولَ بطريقة أخرى.

ناديتُ سابت وفريتز بعد ذلك وشرحتُ لهما خطتي فهز سابت رأسَهُ وقال:

ـ «لماذا لا تنتظر؟»

ـ «قد يموتُ الملك».

ـ «إن ميشال سيتصرفُ قبل أن يموتَ الملك. أتظنُّ أنه سيتركُ لك العرش؟»

فقلت: «ليست هذه المشكلة الوحيدة. لنفترض أن الملك بقي بعدَ أسبوعين على قيدِ الحياة؟»

فعضّ سابت شفتهُ بينما وضع فريتز يدهُ على كتفي قائلاً: «أنت على حق يا رودلف، لنذهبْ الآن للإعدادِ لخطتِنا».

قال سابت: «سأذهبُ، فريتز وأنا، فإذا أخفقنا وقَتَلَنا ميشال ثم قُتِلَ الملك تبقى أنت حيّاً مستلماً سُدَّةَ الحكم».

فقلت: «لقد خدعتُ الناس من أجلِ الملك لكنني لن أخدعَهُمْ من أجل غايةٍ شخصية. إن لم يَكُنِ الملكُ حيّاً يومَ حفلِ الخطوبة فسأُعْلِنُ الحقيقة على الملأ مهما كانت النتائج».

ـ «لنذهب الآن». قال سابت.

أمّا خطتي فكانت التالية:

كان على مجموعةٍ صغيرة من الرجالِ تحت إمرة سابت أن تزحف نحو بابِ القصرِ الجديد. وفي حال لقائهم بأيّ أحدٍ، كان عليهم قتله بالسيفِ إنْ أَمْكَنَ تفادياً لإحداثِ أي صوت. عندما يفتح جوان الباب يسرعُ رجالنا ويمسكون بالخدم، وفي اللحظة نفسها ـ ولقد اعتمدت الخطة على هذه الخطوة ـ تنطلق صرخةٌ واضحةٌ مُدَوِّيَةٌ من غرفةِ أنطوانيت دو موبان. وتستمرُّ الصرخةُ مراراً وتكراراً حيث تستنجدُ

أنطوانيت بميشال قائلة: «ساعدني يا ميشال! ساعدني! إنه روبرت هنتزو. . .» ومن الطبيعي أن يهرع ميشال إلى أنطوانيت من غرفته إلى غرفتها ليقع بين يدي سابت ورجاله. لكن صراخ أنطوانيت سيستمر.

ويأخذُ رجالي المفاتيحَ من ميشال ويفتحون الجسرَ المتحرك. ومن الطبيعي أن يتركَ روبرت غرفتَهُ وَيَعْبُرَ الجسر لمعرفة سبب مناداة أنطوانيت باسمه واتهامهِ. قد يأتي معه دو غوتيه وقد لا يأتي، فهذا مرهونٌ بالوقت.

عندما يصلُ روبرت إلى الجسر، وهنا يكمنُ دوري، سأكونُ قد اختبأت خلف الجسر؛ فإذا كان مصحوباً بدو غوتيه سأقتل الاثنين في الظلام فلا يبقى من رجال ميشال سوى رجلين اثنين. وبما أننا نكون قد حصلنا على المفاتيح فإننا سنسرعُ إلى غرفةِ ديتشارد وبرسونين اللذين كنا على يقينٍ بأنهما في غمرة ارتباكهما سيحميان أنفسهما بدل الإسراع إلى قتل الملك.

ولقد كان هناكَ افتراضٌ آخَر هو أن ديتشارد قد يتركُ الملك بحراسة برسونين ويسرعُ إثرَ سماعهِ استيغاثَ أنطوانيت والعراكَ المفترَض وقوعُهُ بين روبرت وميشال، ويهرع إلى مساعدةِ ميشال.

تلكَ كانت خطتنا ولم نُقْدِمْ عليها إلا بعدَ يأسٍ كبير. ولإخفاءِ غايتنا أمرتُ بإنارة قصرِ ترلنهايم كلِّه حتى بدا وكأن حفلاً راقصاً يقامُ فيه. كذلك أمرتُ المارشال ستراكنز، في حالِ عدمِ رجوعنا في صباحِ اليوم التالي، أن يتوجّهَ علناً إلى قصر زندا ويطالبَ بمقابلةِ الملك، وإن لم يُسمحْ له برؤيتهِ يأخذ فلاڤيا في الحال إلى سترالسو ويتوّجُها ملكةً بعد

إعلان مقتلِ الملك على يدي أخيه ميشال الأسود.

لأقولَ الحق، هذا ما كنتُ أتصوّرُ حدوثَهُ لأنني لم أكنْ أظنُّ أن ميشال والملك وأنا سنعيش أكثر من يومنا الحالي.

لم نفرغ من ترتيباتنا للخطةِ إلا في وقت متأخر، فذهبت لأتمنى لفلاڤيا ليلة هانئة. نزعت خاتمي، خاتمَ العائلة وأعطيتُها إياهُ قائلاً:

ــ «ضعي هذا الخاتمَ في يدك مع أنك ستضعين خاتماً آخرَ عندما تصبحين ملكة».

ــ «مهما وضعت في يدي سيبقى هذا الخاتمُ معي حتى الموت». قالت فلاڤيا، ثمّ قَبّلَت الخاتم والدموع تترقرق في عينيها وعينيّ أيضاً.

١١ ـ روبرت وميشال

كانت الليلةُ صافيةً وهادئة، رغم أنني تمنيت طقساً عاصفاً كالطقس الرديء يومَ دخلتُ القصرَ أولَ مرة. لكنني لو مشيتُ بمحاذاةِ الحائطِ السفلي للقصر سيصعب على الآخرين رؤيتي من نوافذ البناء الجديد. قد يفتّشون الخندقَ، ولكن هذا افتراضٌ بعيدُ الحدوث. أخبرني جوان أن سلّم يعقوب قد ثُبتَ في مكانه وأصبح أمتن من ذي قبل. وفي حالِ خداعِ جوان لنا فإن هذا لن يؤثّرَ علينا لأنهُ لا يعرف شيئاً البتة عن خطتِنا، لكنهُ يتوقّعُ رؤيتنا مع رجالنا عند الباب الأمامي ساعة يفتحُهُ في الثانية صباحاً.

غادرَ سابت ورجاله البيت عند منتصف الليلِ مروراً بالطريق المقفرِ وعبر الغابات للوصولِ إلى قصرِ زندا. وإذا ما جرى كلُّ شيءٍ على ما يرام فإنهم سيصلون إلى الباب الأمامي في الثانيةِ إلا ربعاً. إن لم يفتح جوان الباب فإن فريتز سيذهب إلى الجانب الآخر من القصر لملاقاتي إذا كنت لا أزالُ حيّاً. أما لو أخفق في العثور عليّ فإنهُ يعودُ مع رجالهِ إلى ترلنهايم ليجمع أكبرَ قوةٍ ممكنة يقتحِمُ بها القصرَ، ذلك أنَّ عدم مقابلتي لفريتز تعني أنني قُتلتُ وبالتالي أن الملك سيقتلُ بعدي بلحظاتٍ معدودة.

انطلقت وحيداً أحملُ حبلاً وسلّماً حريريّاً صغيراً ليساعدني على الخروجِ من الخندق.

ربطتُ الحبلَ في جذعِ إحدى الأشجارِ ونزلتُ في الماء. ما إن شَرَعْتُ بالسباحة حتى ترامى إلى سمعي صوتُ ساعةِ القصرِ تعلنُ الواحدةَ إلا ربعاً. وصلت خلالَ دقائقَ إلى سُلَّم يعقوب فاختبأت في ظلّهِ وبدأتُ أراقبُ على بعدِ عشرة ياردات الجسرَ المتحركَ الذي كان لا يزالُ مفتوحاً. أما من الجانبِ الآخرِ للخندق فقد رأيتُ نوافذ غرفةِ الدوق ومدام دو موبان معتمداً بذلك على معلومات جوان.

فجأةً فُتِحَتْ نافذةُ غرفةِ الدوق وظهرت أنطوانيت. وددتُ لو أصرخ لأُذَكِّرَها بما يجبُ أن تفعلَهُ لكنني لم أجرؤ على فعل هذا. ما هي إلا لحظات حتى ظهرَ وراءَها رجلٌ ابتعدتْ عنْهُ بينما سمعتُ ضحكتَهُ الخافتة. لقد كانَ روبرت! ثم رأيتُهُ بوضوحٍ يهمس إلى أنطوانيت.

فقلت لنفسي: «بلطف، بلطف يا روبرت، لا يزالُ الوقتُ باكراً!»

ثم سمعتُهُ يقول: «ليذهب ميشال الأسود إلى الجحيم، ألا تكفيهِ الأميرة؟ أريدُ الحصولَ على كلِّ شيء؟ ما الذي تَحَبِّينَهُ في ميشال الأسود؟»

فقالت أنطوانيت: «وإن أخبرتُهُ بما تقولُهُ الآن؟».

ــ «أخبريه». ردّ روبرت غير مبالٍ، ثم تقدّمَ منها وَقَبَّلَها قائلاً: «أخبريهِ أيضاً بما فعلتُ الآن»

رفعت المسكينة يديها وكأنها تتضرع إلى الله لشدّة يأسها. فتابع روبرت كلامَهُ قائلاً:

ــ «أتدرين بما وعدني ميشال لو أنني قتلت ملكنا المزيف؟ إنه سيحصلُ على الأميرة وأنا. لكنني لا أطيق صبراً، هذا كل ما في الأمر».

سمعتُ بعدَ ذلك أزيزَ بابٍ يُفتحُ ثم صوتَ ميشال يقول:

ــ «ماذا تفعلُ هنا يا روبرت؟»

ثم تقدّم من النافذة وأمسك بذراع روبرت قائلاً بغضب:

ــ «باستطاعة الخندق أن يحويك بالإضافة إلى الملك!»

فسأله روبرت بوقاحة: «أَيُهَدِّدُني معاليك؟»

ــ «تهديدي هو إنذارٌ أيضاً».

ـ «لكن رودلف رزيدانتيل قد هُدِّد أكثرَ من مرة وما يزال على قيدِ الحياة». قال روبرت.

ـ «ذلك بسبب حماقةِ رجالي وليس لخطأ مني».

ـ «لكن معاليك لم يخاطرْ حتى الآن ليقعَ في الخطأ». قال روبرت هازئاً وكأنهُ يقولُ بكل بساطةٍ أن ميشال جبان.

ضغط ميشال على نفسه وقالَ محتفظاً بهدوئهِ:

ـ «كفى، كفى، يجبُ ألا نتشاجَرَ يا روبرت. هل ديتشارد وبرسونين في أماكنهما؟»

ـ «أجل يا سيدي».

ـ «لم أَعُدْ بحاجةٍ إليك».

فردّ روبرت: «لكنني لستُ متعباً».

ـ «أرجوك اذْهَبْ يا روبرت. فخلالَ عشرةِ دقائقَ سَيُقْفَلُ الجسرُ المتحركُ، وأظنُّ أنك ستضطرُّ للسباحةِ حتى تصلَ إلى غرفتِك».

اختفى روبرت بعد ذلك فأدركتُ أنهُ ذهبَ لدى سَماعِي صوت إقفالِ الباب.

ولم أَعُدْ أرى مدام دو موبان ولا ميشال لكنني سمعت روبرت ينادي من آخر الجسر:

ـ «هيا يا دو غوتيه، أَسْرِعْ وإلا سنضطرُ للسباحةِ عبرَ الخندق».

ما إن عبرَ الرجلان الجسرَ حتى أُقفِلَ وراءهما، وكانت الساعةُ تعلنُ

الواحدة والربعِ تماماً.

بعد ذلكَ بدقائقَ قليلةٍ، ترامى إلى مسمعي صوتٌ خفيفٌ من وراءِ الأنبوب. ولدهشتي رأيتُ روبرت واقفاً عند مدخلِ القصر. سارَ باتجاهي ثم صعدَ بضع درجات حجريةٍ متصلةٍ بالحائط. كان يحملُ سيفَهُ بين أسنانِه ولو أن الأمر كان يتعلقُ بحياتي وحدي لكنتُ سبحتُ إليه وتعاركتُ معه. لكنني كبحتُ جِماحَ نفسي وبقيتُ حيثُ أنا، فحياة الملكِ في خطر ويجب علينا إنقاذها.

سبحَ روبرت ببطءٍ عبر الخندق ثم صعد حتى وصل إلى بوابةِ القصرِ الجديد ففتحَ البابَ المقفلَ ودخل. عند ذلك تأكدَ لي أن ثمةَ خططاً أخرى بالإضافةِ إلى خطتي تُحاكُ في القصرِ تلكَ الليلة.

كانت غرفةُ أنطوانيت لا تزال مضاءةً بينما أُطفىء النورُ في غرفةِ ميشال، مما كانَ يدلُّ على أنه في سباتٍ عميق. وبينما كنتُ أفكرُ في هذا سمعت صوت بابٍ يُفتح ببطءٍ وبحذر. ولكن قَبْلَ أن يصلَ رجالي وقبل أن يُفكر جوان بفتح الباب اخترقَ صوتُ تَحَطُّمِ شيءِ السكونَ المُخيِّمَ. اعتقدت أن الشيء المُنكسرَ كان مصباحاً لأنَ غرفة أنطوانيت غرقت في العتمةِ في اللحظة نفسها. ثم علا صوت أنطوانيت وهي تستغيث:

ـ «ساعدني يا ميشال! ساعدني!»

وما كان مني إلا أن صعدتُ الدرجاتِ الحجريةَ ووقفتُ عند مدخلِ القصرِ القديم لكي يكون باستطاعتي أنْ أُواجِهَ كلَّ من يدخل القصرَ أو يخرجُ منه.

استمرَّ صراخُ أنطوانيت فَفُتِحَ بابُ ميشال وإذا به يصرخُ وهو يلوي مقبض باب غرفة أنطوانيت بعنف:

ـ «افتحي الباب! بالله عليكِ ماذا هناك؟»

أجابتهُ أنطوانيت بنفس الكلماتِ المكتوبةِ في الورقة التي أرسلتُها إليها: «ساعدني يا ميشال! روبرت هنتزو!»

خلعَ ميشال البابَ ودخلَ، ثم سمعتُ صوتَ سيوفٍ تتضارب ودو غوتيه يتساءلُ: «ما القضية؟»

كلّ هذه الأشياء حدثت بسرعةٍ كبيرةٍ مما يجعلُ من الصعبِ وصفها بوضوح.

بعد ذلك فُتحتْ نافذة أنطوانيت على مصراعيها فسمعتُ أنينَ جريح وتمكنتُ من رؤيةِ روبرت الذي كانَ يحاربُ بضراوةٍ ويقولُ:

ـ «آه، هذه لك يا جوان! تعالَ يا ميشال!»

كان جوان هناك فلقد جاء لإنقاذ الدوق. فتساءلتُ كيفَ سيقدِرُ أن يفتحَ البابَ في الموعدِ المحدَّد.

ـ «ساعدوني!» صرخ الدوق بصوتٍ ضعيفٍ وهو يكادُ يُغمَى عليه.

سمعتُ وقعَ خطواتٍ من ورائي ولم أجدْ أحداً بل رأيت روبرت محاطاً بخمسةِ رجال. أو ستةٍ. سرعانَ ما قفز روبرت من النافذة ووقف هناك لِلَحظاتٍ يضحك كالمجنون ثملاً من الدماء الغارق فيها

ثم قفز إلى الخندق.

في اللحظة نفسها ظهر دو غوتيه أمامي فطعنتُهُ بكلِّ ما أُوتيتُ من قوةٍ حتى خرَّ صريعاً عند مدخل القصر. بحثتُ بسرعةٍ عن المفاتيح في جيوبهِ فوجدت ثلاثةَ مفاتيح. جرّبتُ الأول في باب الغرفةِ المؤديةِ إلى غرفةِ الملك فإذا به يَفتحُ. دخلتُ الغرفةَ بحذرٍ وببطءٍ بعدَ أن أقفلتُ الباب ورائي. شعرتُ بوجودِ أحدهم في الغرفةِ المجاورة ثم تحققتُ من ذلك بواسطة مصباحٍ كان معلّقاً على الحائط. تناولتُ المصباحَ واسترقتُ السَّمْعَ:

ـ «مهما كان». قال أحدُهم من وراء الباب.

فردّ الآخر: «أنقتلُهُ؟»

تبع ذلك سكون أفزعني ثم قال ديتشارد:

ـ «لننتظرْ قليلاً. قد نثيرُ مشكلةً لو تَسرَّعْنا!»

وما هي إلا لحظات حتى سَمِعْتُهُمْ يفتحون الباب فأطفأت المصباحَ في الحال وأعدتُهُ إلى موضعِهِ على الحائط.

ـ «إن المصباحَ مُطْفَأ. أعطني إياه!» قال برسونين.

هنا حلَّتِ اللحظ الحاسمة.

أسرعتُ رامياً نفسي على البابِ الذي فتحَ على الفور. وما إن رآني برسونين حتى شهَرَ سيفَهُ متراجعاً بضعَ خطواتٍ من هولِ المفاجأة. انقضضتُ بجنونٍ على البلغاري ودفعتُهُ نحو الحائط. لقد كان

شجاعاً، لكنَّهُ غيرُ بارعٍ بالمبارزة، وما هي إلا لحظات حتى قضيتُ عليه. الْتَفَتُّ حولي فلم أجد ديتشارد. لقدْ ذَهَبَ لتنفيذِ الأوامرِ بقتلِ الملك، فأَسْرَعَ إلى الغرفة الداخليةِ وأقفلَ الباب وراءَهُ.

لقد كان بوُسْعِهِ قتلُ الملك ثم قتلي من بعدِهِ لولا وجود شخصٍ مخلصٍ ضحّى بحياتِهِ من أجل إنقاذ الملك. فعندما خلعتُ بابَ غرفةِ الملك ودخلتُ، كان هذا ما رأيت. كان الملك يقفُ في زاويةِ الغرفة مريضاً ضعيفاً لا يقوى على الحراكِ ويضحك كالمعتوه. أما ديتشارد والطبيب فقد كانا في منتصفِ الغرفة بعد أن رمى الطبيبُ نفسَهُ على القاتلِ وأمسكَ بيدِهِ. لكن ديتشارد سرعان ما أفلتَ منهُ وزرعَ سَيفَهُ في قلبه.

ما إن دخلتُ حتى التفتَ ديتشارد إليّ صارخاً: «أخيرًا!»

بدأنا نتبارز بالسيف، ولحسن حظي لم يكن لا ديتشارد ولا برسونين يحملان مسدساتهما لأن دخولي المفاجىء عليهما منعهُما من ذلك. وأخيراً التقيت وديتشارد وجهاً لوجه. تبارزْنا بهدوء ولكن بقوة، وأعْترفُ بأنه أبرعُ مبارزٍ صادفْتُهُ في حياتي. وكنت أعلمُ أنهُ سيقضي عليّ لا محالةَ ثم يقوم بقتلِ الملك.

لكن الملك في هذا الوقتِ وكالمعتوهِ بدأ يقفزُ بضعفٍ ويصرخ:

ــ «إنهُ الأخ رودلف! سأساعدُك يا رودلف!»

ثم تناولَ كرسيّاً واتجهَ نحو ديتشارد.

ــ «هيا تعال، أسرعْ، اضربهُ على ساقيه». قلت للملك.

فضحكَ الملكُ وَتَقَدَّمَ يحملُ الكرسيّ على وجهِ ديتشارد.

وبصرخةِ غضبٍ تراجع ديتشارد إلى الوراء، وَوَجَّهَ سيفَهُ إلى الملك الذي وقع أرضاً على الفور.

لَمْ يَعُدْ أمامَ ديتشارد سواي فقفز إليّ، لكنه لقي نتيجةَ ما اقترفَتْ يداه إذ زلَّ بالدماءِ المتدفقةِ من الطبيب الميتِ والتي ملأت الغرفة. وقبل أن يقومَ عن الأرض انقضضت عليهِ وقطعتُ عُنُقَهُ. فوقع فوق جثةِ الطبيب المخلص.

ــ «هل مات الملك؟» كان هذا أول ما تبادر لذهني، فأسرعتُ إليه أحاولُ سماعَ دقاتِ قلبِهِ فهدأ روعي قليلاً. لكنني سرعانَ ما سمعتُ صوت الجسرِ المتحرك يُفتحُ فأدركتُ أنني سأقعُ كالفأر في أيديهم وكذلكَ الملكُ لو كان لا يزالُ حيًّا.

تسللتُ إلى الغرفةِ الخارجيةِ فوجدتُ مسدّسَيْ برسونين وديتشارد، فأخذتُ واحداً منهما ووقفت أمام الباب أحاولِ سماعَ ما يحدث خارجاً.

ــ «من الذي يفتحُ الجسرَ يا تُرى؟ أَهُمْ أصدقائي؟» سألتُ نفسي. ولَكَمْ تمنيتُ أن أسمعَ صوتَ سابت وأنا أقفُ هنالك ألتقطُ أنفاسي وأُضَمِّدُ جرحي.

فجأةً سمعتُ صوتاً غريباً. لقد كان عالياً هازئاً. إنها بلا شكٍّ ضحكةُ روبرت هنتزو. استغربتُ قُدْرَتَهُ على الضحك رغم كلِّ ما حدثَ، لكنني أدركتُ أن رجالي لم يَصِلُوا قطّ لأنهم لو فعلوا لكانوا

قتلوا روبرت.

أعلنتْ ساعةُ القصر عند ذلك الثانيةَ والنصف.

ـ «يا إلَهي! إن البابَ لمْ يُفتح!»

تأكدتُ أن رجالي قد ذهبوا إلى المكانِ الذي يجبُ أن ألتقي فيه مع فريتز ولم يجدوني هناك. لذا عادوا إلى ترلنهايم يحملون أخبارَ موتِ الملك وموتي أيضاً.

١٢ـ وجهاً لوجه في الغابة

غَمَرَني يأسٌ شديدٌ وأنا أقفُ هكذا حتى سمعتُ صوتَ روبرت يقولُ باستهزاء:

ـ «حسناً، ها هو الجسر، أعْبُرْهُ لِنَراكَ يا ميشال الأسود. ابتعدوا أيها الكلاب. تعال يا ميشال وحاربْ من أجلِها!»

شققتُ البابَ لأرى ما الذي يحدثُ خارجاً، ويا لِغَرابة ما رأيت. فقد وقف على الطرف البعيد للجسر، مجموعةٌ من خدمِ الدوق، بعضهم يحملُ المصابيح والبعضُ الآخر يحملُ أسلحةً فولاذيةً قديمة. كانوا جميعاً خائفين من روبرت الذي وقف في منتصف الجسرِ شاهراً سيفَهُ. أما في آخر الجسر فقد رأيتُ جوان يضعُ منديلاً على جرحٍ في وَجْهِهِ ولا يجرؤ أن يخطو خطوةً واحدة.

يا لحسن حظي. فقد كُنْتُ ساعتَها سَيِّدَ الموقف. فالخدم الجبناءُ لا يقدرون على التصدي لي لعدم قدرتهم على مواجهةِ روبرت. وما

كانَ عليّ سوى أن أحملَ مسدسي وأُطْلِقَ النارَ عليه فهو لا يعلمُ بوجودي هناك. لكنني لم أفعلْ شيئاً ـ لماذا؟ ـ إنني أتساءلُ عن السبب حتى هذا اليوم. لعلَّ سببَ ذلك أنني اعتقدتُ أن قَتْلَهُ على هذا النحو يُعتبر جبناً. وقد يَكْمُنُ السَّببُ في فضولي الذي أخّرني عن قتله لأرى ماذا سيحصل.

ـ «هيا يا ميشال! هيا أيها الكلب! تعال إليّ إن استطعتَ الوقوفَ!»

صرخ روبرت.

فَرَدَّت عليه سيدةٌ وهي تنتحب:

ـ «لقد مات! يا إلَهي، لقد مات!»

ـ «مات؟» صرخ روبرت، ثم ضحك فرحاً لنصره وقال:

ـ «ارموا أسْلِحَتَكُمْ! أنا سيدُكم الآن. هيا ارموها قلتُ لكم!»

كان الرجالُ على وشكِ أن يفعلوا ما أمرهم به روبرت لو لم تحدث أشياء جديدة. فقد سمعتُ من بعيد صراخاً وضرباً عنيفاً على بوابةِ القصرِ الجديد. رقصَ قلبي فرحاً لذلك، فلا بد أنهم رجالي الذين قَدِموا للبحث عني. استمر ضجيجهم ولكن يبدو أن أحداً لم يتنبه لذلك، لأنهُ في اللحظة نفسها ظهرت أنطوانيت دو موبان وهي تتجهُ نحو الجسر حيث وقف روبرت. كانت ترتدي قميصَ نومٍ أبيضَ، وَشَعْرُها الأسودُ ينسدلُ على كتفيها؛ كانتْ شاحبةَ الوجهِ لامعةَ العينين تحملُ مسدساً بيدَين مرتجفتين. وسرعان ما رفعتِ المسدسَ وأطلقتِ النارَ على روبرت لكنها أخطأت الهدف.

ضحك منها روبرت وقال:

ـ «لو لم تكن عيناك أشدَّ خطراً من رصاصِ مسدسك لما كنت أقف هذا الموقفَ الآن ولما كان ميشال الأسودُ يرقدُ ميتاً هذه الليلة!»

حاولت أنطوانيت أن تهدّىء نفسها وأن تصوّب المسدس بإحكام نحو روبرت، لكنه قفز من الجسر إلى الخندق وهو يصرخ:

ـ «لا أستطيع أن أقتلَ من قَبَّلْتُ».

في اللحظةِ نفسِها سمعتُ وقعَ أقدامٍ وصوت سابت يقول: «يا إلّهي لقد مات الدوق!»

ما إن سمعتُ صوتَ سابت حتى اطمأنّيت أن الملك لم يَعُدْ بحاجةٍ لحمايتي، فَرَمَيْتُ مسدّسي وقفزتُ إلى الجسر.

أرسلَ الخدمُ عند رؤيتي صيحات العجب: «إنه الملك!»

ومثلما فعل روبرت قفزتُ في الخندقِ وراءَهُ.

كان روبرت يبعدُ عني حوالى الخمسين ميلاً. وبما أنني كنت متعباً ومجروحاً فلم يكن باستطاعتي السباحةُ بسرعة، غيرَ أنني ما إن وصلتُ إلى حائط القصر وأمسكتُ به حتى ناديْتُ روبرت بأعلى صوتي:

ـ «توقّف يا روبرت! توقف!»

التفتَ ليراني لكنهُ لم يتوقف لأنهُ لم يستطع معرفتي في ذلك الظلام الدامس.

لم يكن من سبيلٍ للخروجِ من الخندقِ إلا بواسطةِ الحبلِ الذي ربطتُهُ بإحدى الأشجار. قد يجدُهُ روبرت وقد لا يجدُه.

لكنهُ وجده بسهولة إذ سمعتُهُ يتساءل:

ـ «من أين جاء هذا الحبل؟» ثم أمسك به وخرج من الخندق.

وصلتُ بعد روبرت بثوانٍ قليلة، فسأل بعجبٍ حين رآني:

ـ «مرحباً! من هذا؟»

ـ «إنه الممثل».

ـ «كيف وصلتَ إلى هنا يا رجل؟»

أمسكتُ بالحبل محاولاً الخروجَ من الخندقِ ثم توقفتُ. فقد كان روبرت يقفُ على الضِّفَّةِ حاملاً سيفَهُ وباستطاعتهِ بكلِّ سهولةٍ قطعَ رأسي ساعةَ أخرج.

ـ «لا بأس، أنا هنا الآن وأظنُّ أنني سأبقى». قلت لروبرت.

نظرَ إليّ مبتسماً وقال: «إن السيدات..» وفجأة قُرِعَ جرسُ القصرِ الكبير. كان صوته مُدَوِّيًا لدرجةِ أننا سمعناه من الخندق، فَلَوَّحَ روبرت بيدهِ وقال:

ـ «لَكَمْ كنتُ أودُّ أن أقاتِلَكَ، لكن الطقسَ حارٌّ اليوم». ثم ركض مسرعاً.

أمسكتُ بالحبلِ وخرجتُ من الخندقِ أَتْبَعُ روبرت بعينيّ. لقد كان يبعدُ حوالى الثلاثين ياردا مسرعاً كالغزال ليختبىءَ في الغابة. وقد

كانت هذه المرةُ الأولى التي استعمل فيها روبرت حكمتَهُ ناسياً وقاحتَهُ المعهودة.

أسرعتُ وراءَه وأنا أناديهِ طالباً منهُ التوقفَ فلمْ يفعلْ، وبما أنهُ لمْ يكنْ جريحاً مثلي فقد كانَ يبتعدُ عني مع كل خطوةٍ من خطواتهِ. لكنني ساعَتَها نسيتُ العالَمَ بأجمعِهِ ولم أرَ أمام عيني سوى رغبتي بالارتواءِ من دمه.

دخلتُ الغابةَ وراءَهُ. كانَت الساعةُ تقاربُ الثالثةَ، والفجرُ يبدأ بالبزوغ. كان روبرت يسبقني بحوالى المئة ياردِ ويلتفتُ إلي بين الحين والآخرِ وهو يضحكُ مني ساخراً. لقد كان يعرفُ أنني لن أستطيعَ اللحاقَ به. وبعد لحظاتٍ توارى عن نظري.

فقلت لنفسي: «انتهى الأمر».

كنتُ مستلقياً على الأرض منهوكَ القوى عندما سمعتُ صراخَ امرأةٍ في الغابة. استجمعتُ آخرَ ذرةٍ من قواي وركضت باتجاه الصوت فوجدت أمامي روبرت. كان يحاولُ إنزالَ فتاةٍ عن جوادِها فأخذتِ المسكينةُ تصرخ.

بدا لي أنها إحدى بنات الفلاحين وكانت في طريقها إلى سوق زندا.

عاملها روبرت بلطف فلقد قبّلَها وأعطاها بعضَ المال، ثم انتظرني حتى وصلتُ إليه فسألني عندما أصبحتُ قريباً منه.

ـ «ما الذي كنتَ تفعلُهُ في القصر؟»

ـ «قتلتُ ثلاثةً من أصدقائك».

فسألني: «ماذا؟ أَدَخَلْتَ غرفةَ الملك؟»

ـ «أجل، وأرجو الله أن يكونَ الملِكُ لا يزالُ حيّاً. لقد قتلت ديتشارد».

ـ «أيها الأحمق!»

ـ «وفعلت شيئاً آخر. لقد تركتُك حيّاً بعدَ أن كنتُ أقفُ وراءَكَ على الجسر حاملاً مسدسي».

ـ «إذاً، لقد كنت على الجسر بين نارين!»

فقلت له: «تَرَجَّلْ عن حصانك وقاتِلْني كرجل».

ـ «ماذا؟ أنتحاربُ أمام الآنسة؟» قال هازئاً.

أفقدني الغضبُ وعيي فهرعتُ إليه حاملاً سيفي وضربته به. أصبتُهُ في وجهِهِ فتراجع مستغرباً هذا العنف، وقبل أن ينقضّ عليّ بجوادِهِ سمعتُ رجلاً يصرخُ من ورائي. لقد كان فريتز ڤون ترلنهايم الذي أسرع بجوادِهِ نحونا. علمَ ساعتها روبرت أن اللعبة انتهت فقال:

ـ «إلى اللقاء يا رزيدانتيل!»

ثم انحنى لي، ووجهه ينزفُ، ثم انطلقَ بأقصى سرعتِهِ.

أطلق فريتز النار عليه فأصابَ سيفَهُ الذي وقعَ من يده. كنتُ أراقبُهُ وهو يبتعدُ شيئاً فشيئاً فالتفتَ إليّ ملوحاً حتى اختفى.

رميت سيفي أيضاً وناديت فريتز لِلَّحاقِ به، لكنه أسرعَ إلي، وَحَسَناً فعل لأن جرحي كان ينزف بشدة.

قلتُ له: «أعطني جوادَكَ لألحقَ به». لكنني ما إن حاولتُ الوقوفَ حتى وقعتُ على الأرض ثانية. فركع فريتز بقربي.

ـ «فريتز»!

ـ «ماذا يا صديقي؟» قال فريتز بحنان.

ـ «هل الملك حيٌّ؟»

تناولَ منديلَه ومسح شفتيّ وقال:

ـ «الفضلُ يعودُ إلى أشجع رجلٍ عرفت. إن الملكَ ما زال حيًا».

ولشدّة إرهاقي وضعفي وضعت رأسي على ذراع فريتز ولم أعد أعي شيئاً.

***

علمتُ فيما بعد ما حصل تفصيليًا تلك الليلة في قصر زندا. ولقد أخبرتنا أنطوانيت كيف كان هذا أحدَ النزاعاتِ العديدة التي وَقَعَتْ بين روبرت وميشال من أجلِها، وأنَ مجيء روبرت إلى غرفتِها بعد ذهابِ ميشال هو الذي دفعها إلى الصراخِ مستغيثةً بميشال قبلَ الموعدِ المحدد. بدا لنا أولَ الأمر أن هذا العملَ سيؤدي إلى فشلِ الخطةِ، لكنَّهُ وعلى العكس ساعدنا. تعاركَ ميشال وروبرت ثم قفز روبرت من النافذة غير مدركٍ أنه قتل سيدَهُ. أما بالنسبة لسابت وفريتز فلقد وصلا

في موعدهما وانتظرا عند بابِ القصر حتى الساعة الثانيةَ والنصف. ثم وبناءً لتعليماتي ذهبَ فريتز للبحث عني عند الخندق. وَلَمَّا لم يجدني كان من المفروض أن يعود إلى ترلنهايم كما كنتُ أمرتُهُ أن يفعل. لكن فريتز ليسَ مِمّنْ يلتزمُ بالأوامر، ولذلك بدلَ الذهاب إلى ترلنهايم أرسل مجموعةً من الرجالِ إلى هناك للمجيء بالمارشال، بينما اقتحم هو والباقون باب القصر. دخلَ فريتز القصرَ ساعةَ كانت أنطوانيت تطلقُ النار على روبرت، وأولَ غرفة دخلها كانت غرفة ميشال حيثُ وجده جثةً هامدة.

عاد فريتز وسابت بعد ذلك إلى الجسر غير عالِمَيْن بما حدثَ لي وللملك لأن أنطوانيت لم تستطعْ إخبارَهما سوى أنها رأتني عند الجسر.

أخيراً وصلا غرفةَ الملك الخارجية فوجدا برسونين البلغاري ميتاً. فقال سابت:

ـ «شكراً لله، لقد كان رودلف هنا».

وعندما وجدا ديتشارد والطبيب مُضَرَّجَيْن بالدّماءِ والملكَ فاقد الوعي وكأنه ميتٌ، ظَنّا أن كلَّ شيءٍ انتهى. لكن سرعان ما تنبَّهَ سابت إلى أنّ جراحَ الملكِ لم تكنْ خطيرةً وأن شفاءَهُ قريب.

أرسلَ سابت بعد ذلكَ فريتز للبحث عني. ولقد ذكرتُ كيف وجدني في الغابة. ومما سهّلَ عليه العثورَ عليّ سماعُ صراخي وأنا أنادي روبرت وأطلبُ منهُ التوقف.

وأنا على يقين بأن فرحة فريتز برؤيتي حياً كانت تفوق فرحةَ لقاءِ الأخ بأخيه بعد طولِ فراق.

كانَ المهم الآن هو التأكُدُ بأن السِّرَّ سيحفظ بأمان دون أن يُشاع. أقسمتْ أنطوانيت وكذلك جوان على ألّا يَتَفوّها بكلمةٍ واحدة. ولقد أُشيعَ أن فريتز ذهب إلى قصر زندا ليجدَ أحدَ أصدقاءِ الملكِ وقد سُجِنَ هناك، وخلالَ عمليةِ تخليصِ صديقه أُصيبَ الملكُ بجرحٍ شديد الخطورة فبقي في زندا.

ولقد طلبَ من الأميرة فلاڤيا البقاءَ في قصرِ ترلنهايم حتى يعودَ إليها عندما يتعافى. تلك كانت قصةُ سابت ولقد صدَّقَها الجميع.

رغم أوامرِ الملكِ المشددةِ ببقاءِ الأميرةِ في ترلنهايم، إلا أنها رفضت البقاءَ بعيداً عن حبيبها الجريح في زندا؛ ولذا ذهبت بعربتها بصحبةِ المارشال ستراكنز الذي أخفق في إقناعِها بالعدول عن رأيها. وصلت فلاڤيا الغابةَ وكنت لا أزالُ على الأرضِ أفتحُ عينيّ بعدما أصابني من إغماء. رأيتُها من بعيد فاختبأتُ وراء إحدى الشجيرات، غير أن ابنةَ المُزارعِ التي كانت لا تزال هناك أسرعت إلى الأميرة قائلة:

ـ «سيدتي، إن الملك هنا ـ وراءَ هذه الشجيرة!»

فردَّ المارشال ستراكنز: «هذا هراء، إن الملكَ يرقدُ جريحاً في قصر زندا».

فقالت الفتاة: «أعلمُ أنهُ قد جُرحَ، لكنَّهُ هنا مع الكونت فريتز ڤون ترلنهايم وليسَ في القصر».

قالت الفتاةُ ما كانت تعرفهُ فَتَرَجَّلَتْ فلاڤيا من عربتها وهي تبتسمُ لترى من هو ذلك الرجلُ الذي تتحدثُ عنه الفتاة.

لكنّ فريتز وصلَ في الوقتِ المناسبِ قادماً من القصر وحاولَ إقناعَ الأميرة بمتابعة مسيرها إلى ترلنهايم.

ـ «إن كلَّ شابٍّ وسيم هو ملكٌ بالنسبة لفتاةٍ مثلَ هذه».

فقالت الفتاة: «إنهُ يشبهُ الملكَ تماماً».

علتْ نظراتُ الاستغرابِ وجهَ المارشال بينما تلفّتت فلاڤيا حولها والشك يساورها وقالت:

ـ «سأرى هذا الرجل».

ـ «إذاً تعالَيْ معي». قال سابت.

وافقت فلاڤيا مستغربةً لهجة سابت وطلبت من المارشال والآخرين انتظارها، ثم اتجهت وسابت إلى حيثُ كنتُ أرقُدُ بعد أن أشار سابت إلى الفلّاحةِ بأن تبتعد.

لم أقوَ على النظرِ في وجهِ فلاڤيا فدفنتُ وجهي بين يديّ وركع فريتز بقربي واضعاً يدهُ على كتفي.

ـ «إنه الملك، هل أنت مصاب؟» صرخت فلاڤيا بين الحزن والفرح. ثم جلست بقربي وأبعدتْ يدي عن وجهي بلطف.

ـ «إنه الملك. لماذا حاولتَ أن تخدعني يا كولونيل سابت؟»

لمْ يُجِبْها أحدٌ بينا تَسَمَّرَتْ عينايَ على الأرض، فوضعت فلاڤيا

يديها على يدي وقالت: «رودلف...»

فقاطعها سابت بصوتٍ حنون: «إنهُ ليس الملك».

ـ «إنهُ حبيبك يا سيدتي، لكنَّهُ ليس الملك، فالملكُ موجودٌ في قصر زندا».

ـ «انظرْ إليّ يا رودلف، لماذا تَدَعُهُم يقولون عنك هذه الأشياء؟» قالت فلافيا.

تطلّعتُ ساعتَها في عينها وقلت: «ليسامحني الله يا سيدتي، أنا لستُ الملك».

شحُب وجهُ فلافيا ثم نظرَتْ إلى سابت وفريتز ووقعتْ مَغْشِيًّا عليها.

وضَعْتُها بلطفٍ على الأرضِ وأنا ألعنُ حظي متمنيًا لو قضيتُ على يديْ روبرت بدلَ أن أتحمَّلَ كلَّ هذا.

١٣ـ لو كان الحب كل شيء

كانَ الوقتُ ليلاً وكنتُ في الغرفةِ التي سُجِنَ فيها الملك حيث أتى بي فريتز سرًّا. جاءني جوان حاملاً العشاء وأخبرني بما يدورُ في القصر. لقد رأتِ الأميرةُ الملكَ، وبعد ذلك اجتمعا لوقتٍ طويلٍ هي والملكُ مع فريتز، وسابت، والمارشال الذي أُخْبِرَ بالقصةِ كلها.

أما خارجَ القصر فقد سَرَتْ أنباءٌ متضاربةٌ عن سجين زندا الغامض.

بعضُهم قالَ إنهُ ماتَ وبعضهم إنهُ اختفى. أما البعضُ الآخرُ فقال إنهُ كان صديقاً للملك رافقَهُ في رحلاتِهِ إلى إنكلترا.

بعدما فرغتُ من الحديثِ مع جوان أتى فريتز لزيارتي وأخبرني أن الملكَ يودُّ رؤيتي.

عبرنا الجسرَ المتحركَ ودخلنا الغرفةَ التي كانت تخصُّ ميشال الأسود. كانَ الملكُ يرقدُ في سريره هناك، ولقد أخبرَنا الطبيبُ قبل أن ندخُلَ أن الزيارةَ يجبُ أن تكونَ قصيرةً. مدَّ الملكُ يدهُ إليَّ مصافحاً بينما كان فريتز يقفُ أمام النافذة. تناولتُ الخاتم من يدي ووضعتُهُ في يده قائلاً:

ـ «لقد بَذَلْتُ جهدي ألّا أسيءَ إليهِ يا سيدي».

فردَّ الملكُ بصوتٍ ضعيف: «إنني لا أستطيعُ الكلامَ كثيراً. لقد كانت رغبتي أن تبقى معنا هنا، لكن سابت والمارشال يقولان إن هذا مستحيلٌ لأن السِّرَّ يجبُ أن يبقى مدفوناً».

ـ «إنهمْ على حقّ يا سيدي. دعني أذهبْ فلقد أنهيتُ مهمّتي».

فقال الملك: «أجل، لقد أنهيتَ مهمتَك على أحسنِ ما يمكنُ أن يقومَ به إنسان. عندما يراني الشعبُ من جديدٍ، سأكونُ قد تغيّرتُ بسبب المرض، لكن مظهري وحدَهُ هو الذي سيتغيّرُ بالنسبةِ لهم لأنك علَّمْتَني كيفَ يكونُ الملكُ الصالح».

أغمضَ الملكُ عينه من التعب فَقَبَّلْتُ يدهُ ثم خرجتُ مع فريتز.

وكانت تلك آخرَ مرةٍ أراه فيها.

في طريقِ العودةِ سلكَ فريتز طريقاً آخر غيرَ الذي جئنا منهُ فسألتُهُ:

ــ «إلى أينَ نحن ذاهبانَ؟»

ــ «لقد أرسلت الأميرةُ في طلبكَ. عندما تنتهي لاقني عند الجسر، سأكونُ بانتظارك هناك».

فقلت باضطراب: «ماذا تريدُ مني؟»

هزَّ فريتز رأسَهُ ولم يقلْ شيئاً.

ــ «هل تعرفُ الآن كلَّ شيء؟» سألتُ فريتز.

ــ «أجل كلَّ شيء».

فتح فريتز أحدَ الأبواب وأدخلني الغرفةَ التي كانت تقف فيها فلاڤيا ثم ذهب. ركعتُ على ركبتيّ عند رؤيتها وَقبّلْتُ يدها متلفّظاً باسمِها دونما وعي.

ــ «فلاڤيا!»

ارتجفتُ وأنا أقفُ لأنظرَ في وجهها وقالت:

ــ «لا تقفْ فأنتَ لا زلتَ مريضاً. اجلسْ هنا على هذهِ الأريكة».

بلطفٍ ساعدتني على الجلوس ووضعتْ يدَها على جبهتي وقالت:

ــ «أنت محموم!»

ــ «لقد أتيتُ لأطلبَ العفوَ منك. ولكن الحبَّ يجعلُ الشخصَ العاديّ قادراً على معرفةِ قلبِ محبّهِ».

كان هذا كلَّ ما قلت.

فقالت: «إنني أحبُّكَ بكل ذرةٍ من قلبي وروحي!»

لم يكنْ حبُّ فلاڤيا لي هو كلَّ ما يشغلُها ويخجلُها بل خوفُها من أن يكونَ حبي لها تمثيلاً كتمثيلي لدور الملك.

ــ «أحبُّكِ يا فلاڤيا ولن يكونَ في حياتي امرأةٌ غيرك. وليسامحني الله على كلِّ خطأ اقترفتُهُ».

فقالت: «لقد اضطررتَ إلى فعلِ ذلك. أنتَ الذي أحببتُ حقًّا وليسَ الملك».

ــ «لقد حاولتُ أن أخبرك ـ أتذكرين يومَ دخلَ علينا سابت فجأةً ليلةَ الحفلةِ الراقصةِ في سترالسو؟»

فردّت بصوت منخفض: «أعلمُ هذا، لقد أخبروني بكل شيء».

ــ «إنني مسافرٌ الليلة».

ــ «لا، لا! لا تذهب الليلة!»

ــ «إنني مضطرٌ قبل أن يراني أحدٌ هنا. كيف يمكنني البقاءُ هنا..»؟

ــ «فهمت. ليتني أستطيعُ الذهابَ معك!» قالت فلاڤيا.

فصرختُ مبتعداً عنها: «لا، لا تفعلي».

ــ «أنت على حق يا عزيزي رودلف، لو كان الحبُّ كلَّ شيءٍ لكنتُ

ذهبتُ معكَ إلى آخرِ الدنيا. ولكن هل الحبُّ كلُّ شيء؟ كلا، فلو كان كذلك لكنتَ تركتَ الملكَ يموتُ في سجنِه».

ــ «كنتُ على وشكِ أن أفعلَ هذا».

فقالت: «لكن شرَفك منعك. والشرفُ يُلزِمُ المرأةَ أيضاً. وشرفي يَكمنُ في وفائي لوطني، لكنني لن أنزعَ خاتمك أبداً من إصبعي».

ــ «وأنا أيضاً». ثم وَدَّعْتُها وَخَرَجْتُ فَسَمِعْتُها تردِّدُ اسمي مرةً بعد مرة.

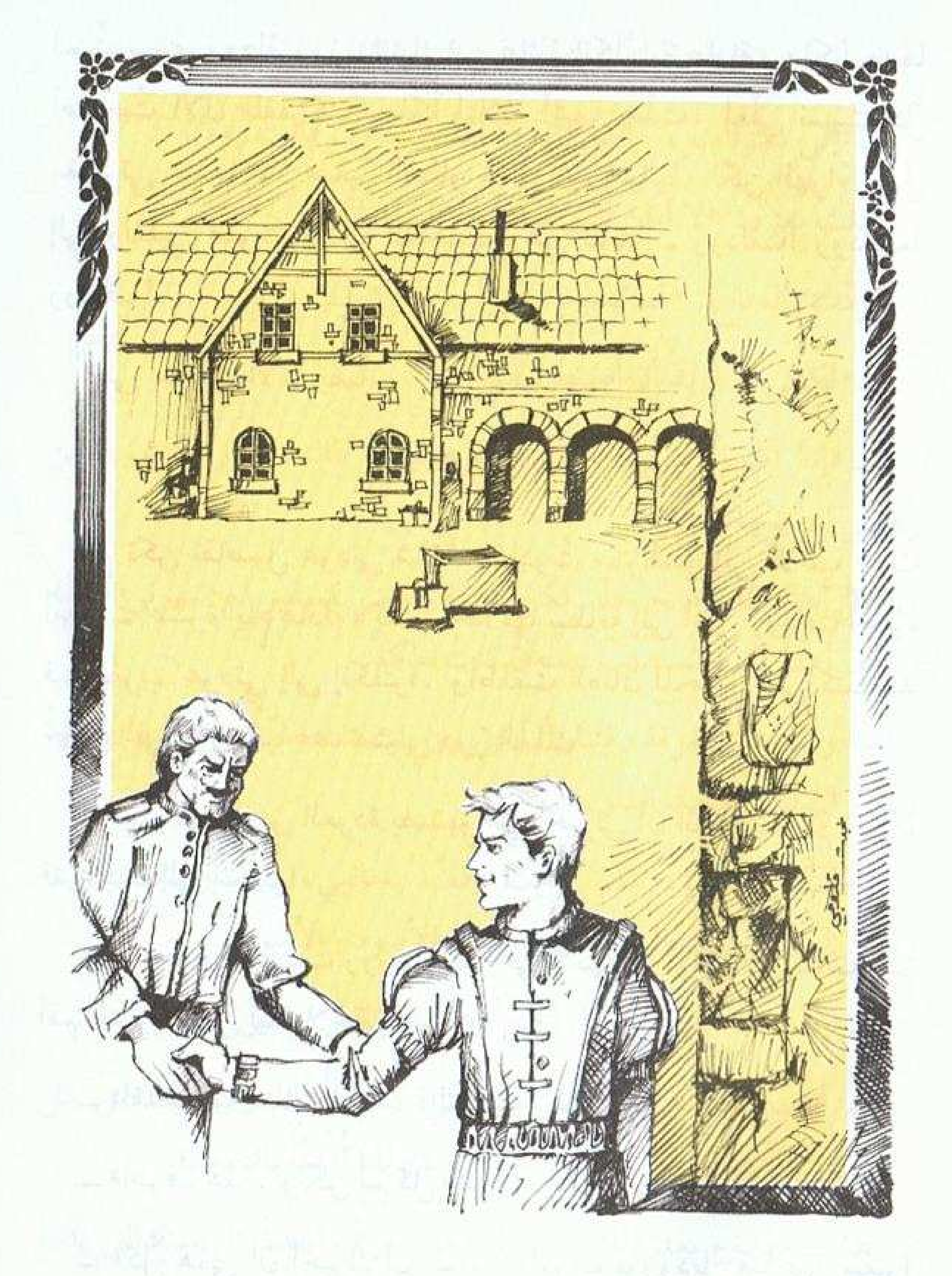
أسرعتُ إلى الجسرِ حيث كان فريتز وسابت بانتظاري ولقد جلبا لي بعض الثياب. غيّرتُ ثيابي وغطّيتُ وجهي وركبنا جيادَنا متجهين إلى الغابة.

وصلنا إلى إحدى محطاتِ السكةِ الحديدية على الحدود وانتظرنا القطارَ. ما إن جلسنا حتى رفعَ فريتز قبعتَهُ وتناول يدي وقبّلَها قبل أن يتركَ لي الفرصةَ لِمَنْعِهِ من ذلك.

ــ «إن السماءَ لا تختارُ دوماً الرجالَ الصحيحين ليكونوا ملوكاً». قال هذا ضاحكاً.

أما سابت فقد قالَ لي وهو يُسَلِّمُ عليّ: «إن للشيطانِ نصيباً في كل شيء».

وصلَ القطارُ ولم يكنْ فيه الكثيرُ من الناسِ لكنهم لاحقوني بأعينِهِمْ بفضول عندما رأوا فريتز وسابت يودّعانني. لعلّهُمْ ظنوا أنني رجلٌ ذو أهميةٍ ومركز، لكنّهم كانوا سيصابون بخيبةٍ لو علموا أنني



أما سابت فقد قال لي وهو يسلّم عليّ: إن للشيطان نصيباً في كل شيء

لستُ سوى رودلف رزيدانتيل ابن عائلة إنكليزية عادية. ولكن مهما أصبحتُ الآنَ فلقد كنتُ ملكاً لثلاثةِ أشهرٍ خَلَت. لعلّي نسيت كلَّ مغامرتي عندما علا صفيرُ القطار مغادراً رورتيانيا، لكن الهواءَ حملَ إليّ ولقلبي صوتَ فلافيا المُحبَّبَ وهي تنادي ـ رودلف! رودلف! رودلف!

إنني أسمعُها الآن أيضاً.

***

لم تكن تفاصيل عودتي شَيِّقَة. غادرتُ سترالسو إلى الألبِ حيث أمضيتُ عشرةَ أيامٍ هادئة، بَعَثْتُ خلالها ببطاقةٍ إلى أخي روبرت أُخْبِرُهُ فيها بقرب عودتي إلى إنكلترا. وأطلقتُ العنانَ لِلحْيَتي التي كنتُ قد حلقتها في رورتيانيا عند تمثيلي دورَ الملك.

التقيتُ في طريقِ العودة بصديقٍ لي أخبرني أن أنطوانيت دو موبان قد عادت إلى إنكلترا.

عند رجوعي غضبتْ روز زوجةُ أخي لأنني لم أؤلف أيَّ كتابٍ ولم أقم حتى بتدوين أيَّة ملاحظات.

ــ «لقد بحثنا عنك كثيراً». قالت لي روز.

ــ «أعرفُ هذا. ولكن لِمَ كلُّ هذا فأنا قادرٌ على الاهتمام بنفسي».

ــ «كلُّ همّي أن أخبرك أن السير جاكوب بورودِيل قد عُيِّنَ سفيراً وهو عازمٌ على تَعْيينِكَ مُلْحَقاً في سفارته».

فسألتُ: «ما هو البلدُ الذي سنذهبُ إليه؟»

ــ «إلى سترالسو، وأظنُّ أنها منطقةٌ جميلة». قالت روز.

فقلت بعزم: «لا أظن أنني سأذهب إلى هناك».

فردّت بإلحاح: «قد تصبح سفيراً يوماً ما».

ــ «لكنني لا أريدُ أن أصبحَ سفيراً».

ــ «إنهُ أفضلُ ما يمكنُ أن تصلَ إليه». قالت روز منزعجةً من رفضي لعرضها.

لعل هذا كان صحيحاً. لكن فكرةَ تعييني كسفيرٍ لم تبهرني أبداً، وكيف أهتمُّ لهذا المنصب بعد أن كنتُ ملكاً.

غادرت روز الغرفة، فتناولَ أخي روبرت صحيفةً نُشِرَتْ فيها صورةُ تتويجِ الملك في سترالسو.

تأمّلتُ الصورة. كان سابت يقفُ بجانبي، والمارشال وفريتز ورائي. رأيت أيضاً المارشال وميشال الأسود والأميرة.

ــ «إنهُ لَشَبَهٌ غريبٌ!» قال أخي وهو ينظرُ إليّ ثم إلى صورة الملك.

لم أنبس بكلمة. فبالرغم من أنني كنتُ أُطْلِعُ روبرت على كل أسراري فإن هذا السر لم يكنْ مُلكاً لي، ولذا لُذْتُ بالصمت.

عشتُ بهدوءٍ بعد ذلك. كنتُ أذهب مرةً واحدةً كل سنةٍ إلى بلدةٍ صغيرةٍ على حدود رورتيانيا. هنالك كنتُ أجتمعُ بفريتز الذي كان يعيش بهناء مع زوجتهِ الكونتيسة هلجا. كنا نقضي معاً أسبوعاً كاملاً،

يخبرني فريتز خلالَهُ بكل أخبار سترالسو. وكثيراً ما كنا نتحدث عن سابت، والملك، وروبرت. أما حديث الأمسياتِ فكان عن فلاڤيا التي كانت تُرسل لي كل سنةٍ مع فريتز وردةً حمراء مع ورقةٍ صغيرةٍ كُتبَ عليها:

«رودلف ـ فلاڤيا ـ إلى الأبد».

وكن أرسلُ إليها بدوري وردةً حمراء مع العبارة نفسها، هي التي أصبحتْ الآن ملكة رورتانيا وستكون أبداً ملكة قلبي.

ولا زلتُ حتى الآن أتمرَّنُ على المبارزة بالسيف لشعوري الدائم بأنني سألتقي روبرت ثانيةً وأتقاتلُ معه مع أن الفرصةَ فاتتني لمقاتَلَتِهِ في زندا.

ومن يدري؟

تمت

أسئلة حول: «سجين زندا»

١ ـ ماذا قرّر «رودلف رزيدانتيل» أن يعمل قبل أن يعيَّن رفيقاً للسفير «جاكوب بوروديل»؟

٢ ـ ما الحدث الذي أثار دهشة «رودلف» في الغابة؟

٣ ـ ماذا حدث للملك عندما جلس إلى العشاء؟ ولماذا؟

٤ ـ ما المغامرة التي قام بها «رودلف رزيدانتيل»؟

٥ ـ لماذا زال شعور «رودلف رزيدانتيل» بأنه الملك الحقيقي عندما كان يجتاز الشارع الرئيسي؟

٦ ـ من كشف خطة «ميشال الأسود» الرامية إلى قتل أخيه الملك و«سابت» و«فريتز ڤان ترلنهايم»؟

٧ ـ ما هي الأسباب التي حملت «ميشال الأسود» على عدم قتل أخيه بعد اعتقاله؟

٨ ـ ما السرّ الذي أفضى به «جوان» إلى «رودلف»؟

٩ ـ كيف تمّت خطّة «رودلف» من أجل نجدة الملك؟

١٠ ـ كيف بدا لك دور الممثّل «رودلف» في هذه القصّة؟

١١ ـ كيف تبدو لك نفسيّة «ميشال الأسود»؟

١٢ ـ عُدْ إلى القاموس واشرح ما يلي:
صهوة ـ مكتظّة ـ كمّم ـ البهو ـ لاذ بالصمت ـ لا يتوانى ـ عقر ـ الصَّوّة ـ مُوثق اليدين ـ كبح جماح نفسه.

١٣ ـ عُد إلى القاموس وبيّن الفرق بين: «العَرْض» و«العُرْض» و«العِرْض».

١٤ ـ علام يدلّ كلام فلاڤيا: «لو كان الحبّ كلّ شيء لكنت ذهبت معك إلى

آخر الدنيا»؟

١٥ ـ قال الكاتب: «تراجعت بضع خطوات». ماذا تفيد «بضع»؟ وما حكمها؟

١٦ ـ قال الكاتب: «فقلت غير مبالٍ». لماذا حذفت ياء الاسم المنقوص؟

١٧ ـ «قال الكاتب: «كان بانتظارنا جماعة من الضبّاط وأناس رفيعو المقام». لماذا حذفت النون من آخر «رفيعو».

١٨ ـ علّل كتابة ألف «بقايا» و«حيّا»، و«بدا».

١٩ ـ علّل كتابة همزة «بطيئة» و«ببطء».

٢٠ ـ اضبط أواخر كلمات المقطع الثاني من الصفحة ٧٨، أي من: «عندما يصل... إلى قتل الملك».

٢١ ـ أعرب:

«ضعي هذا الخاتم... عندما تصبحين ملكة».

٢٢ ـ موضوع مستوحى من القصّة:

جاء في الأحاديث النبويّة: «إيّاكم والحسد، فإنّ الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب».

اشرح هذا القول وأيّده بالأمثلة.

المحتويات

المكتبة العالمية للفتيان والفتيات

□ سلسلة كتب جديدة للمطالعة تلّي حاجة الفتيان والفتيات في المرحلتين الابتدائية والمتوسطة.

□ أشرف على تلخيصها عن روائع الأدب العالمي نخبة من كبار الكتّاب العرب.

□ إخراج جديد لوحات بالألوان تجديد فاخر.

صدر منها:

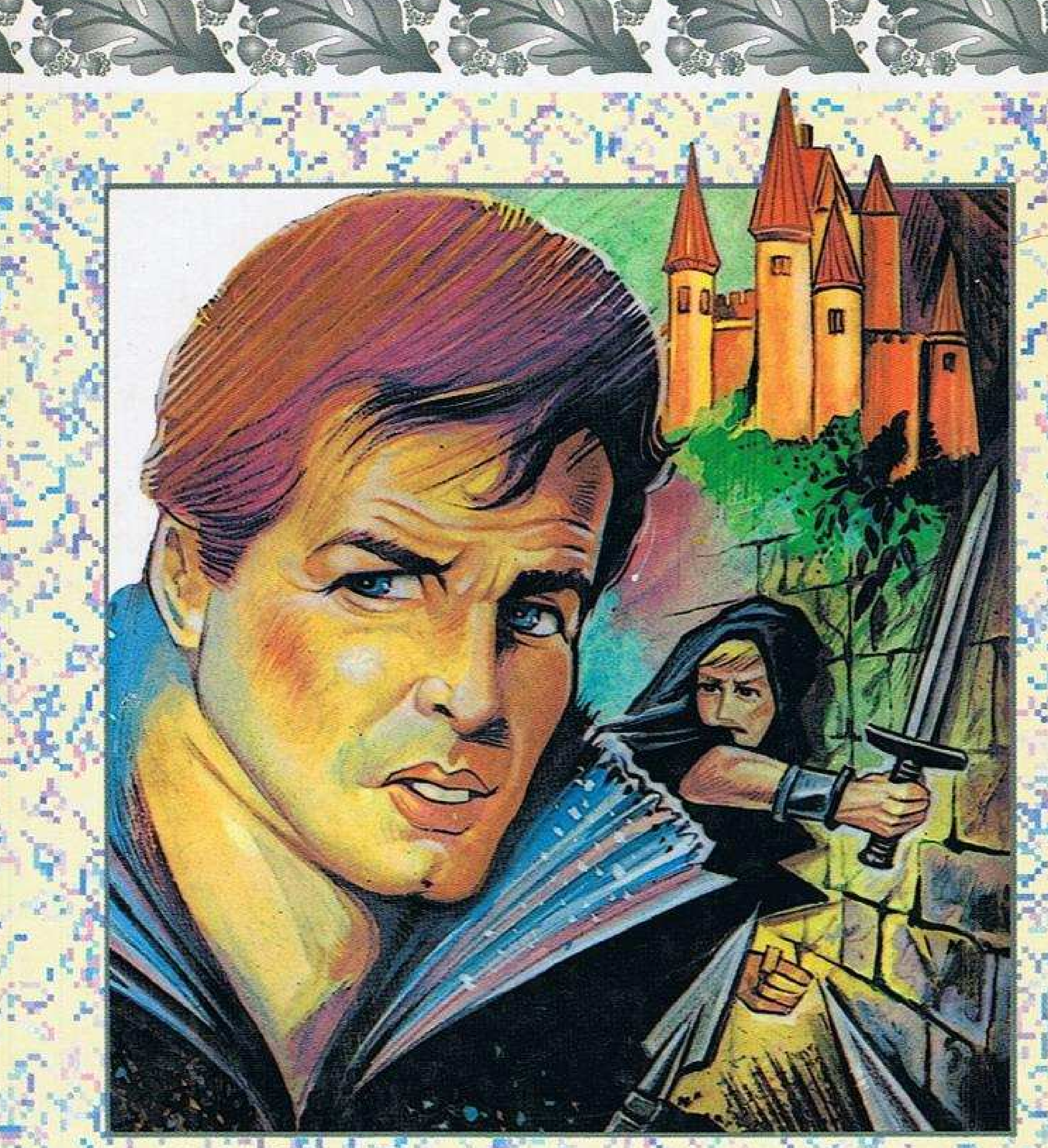
١ ـ روبنسون كروزو
٢ ـ كوخ العم توم
٣ ـ آخر أيام بومبيي
٤ ـ جزيرة الكنز
٥ ـ البؤساء
٦ ـ دايفيد كوبرفيلد
٧ ـ حول العالم في ثمانين يوماً
٨ ـ قصة مدينتين
٩ ـ أوليفر تويست
١٠ ـ الزنبقة السوداء
١١ ـ القلعة
١٢ ـ مرتفعات وذرنغ
١٣ ـ الفرسان الثلاثة
١٤ ـ آيفنهو
١٥ ـ دون كيشوت
١٦ ـ بائعة الخبز
١٧ ـ أحدب نوتردام
١٨ ـ طفل من غير أسرة
١٩ ـ كولومبا
٢٠ ـ تمرّد على السفينة باونتي
٢١ ـ سجين زندا
٢٢ ـ ترّاس بولبا
٢٣ ـ لورنادون
٢٤ ـ سايلاس مارنر

تَحْرِصُ دار العلم للملايين عَلى أن تَبقى كُتُبها رَائِدَةً وَطليعيَّةً مِن حَيْثُ المضمُون وَالإخرَاج. وَيهمُّها أن تَتواصَل مَع قـرَّائهَا وَأن تطّلع عَلى آرائِهم في مَنشوراتها. فإذا كَان لدَيك، عَزيزي القَارئ، رأيٌ أو مُلاحَظةٌ مُهمّة حَول هذا الكِتاب نَرجو أن تكتبَ إلينا على العُنوان المدوّن أدناه. ويُمكنك أيضاً أن تَطلُب قائمةَ مَنشورَاتنا مجّاناً للاطلاعِ على جَميع إصْداراتنا وأسعَارهَا.

دار العلم للملايين ص.ب: ١٠٨٥ - بَيروت - لبنَان

المكتبة العالمية
للفِتيان والفتيات

سجين زندا



دار العلم للملايين